

(قدم للنشر في ١/٢٩/١٤٢٥هـ؛ وقبل للنشر في ٣٠/٣/١٤٢٥هـ)

. يناقش البحث أبرز المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان، كالموقع والمقومات الطبيعية والبشرية والاقتصادية؛ والتي تلعب دوراً كبيراً في الصراع الروسي- الشيشاني. كما يتناول البحث الجذور التاريخية لهذا الصراع ومستقبله في ضوء هذه الجذور والمتغيرات التي طرأت كسقوط الاتحاد السوفيتي وأحداث الحادي عشر من سبتمبر. ولعل من أهم السمات الجيوستراتيجية لهذه الجمهورية - التي تناولها البحث- موقعها الذي يربط بين آسيا وأوروبا، إلى جانب كونها نقطة التقاء وتماس بين روسيا والبلاد الإسلامية. كما أنها تمثل بوابة الاستقلال لهذه المناطق الإسلامية المجاورة في منطقة القوقاز. ويضاف إلى هذا طبيعتها الجبلية في الجنوب والسهلية في الشمال؛ مما ساعد سكانها على مزاوله العديد من النشاطات الاقتصادية كالزراعة، وعلى الصمود أمام الغزو الخارجي، حيث يلجأ السكان عند الغزو إلى الجبال ومنها يشنون الحرب على الغزاة. كما أن انتشار الغابات الكثيفة في هذه الجمهورية شكل ملجأ للمقاتلين وعائقاً طبيعياً لتقدم الغزاة في الوقت نفسه. كما تتسم هذه الجمهورية بالتجانس بين سكانها عقدياً ولغوياً، فهم مسلمون ويتحدث غالبيتهم لغة واحدة. وقد صاغ الإسلام التوجه السياسي لهؤلاء السكان. كما أن الطبيعة الجبلية وطول صراعهم من أجل حريتهم جعل منهم مقاتلين أشداء يتسمون بالشجاعة والبأس. وإلى جانب هذا كله فإن الشيشان تمتلك كميات من البترول، وتشتهر بمواردها الزراعية حيث تتوافر المياه وتسقط الأمطار بغزارة وتتمتع بمناخ ملائم. ومما زاد من أهميتها بالنسبة لروسيا الإرث التاريخي المرير؛ نتيجة للصراع الطويل بينهما والذي امتد لأكثر من قرنين من الزمان؛ مما جعل من الشيشان رمزاً للتحدي في ذاكرة الروس. ويضاف إلى ذلك تحكم الشيشان في عدد من خطوط أنابيب

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

البتروال الممتدة بين أجزاء روسيا الاتحادية وكذلك العديد من طرق المواصلات التي تربط هذه الأجزاء .

أما عن مستقبلها فقد تناول البحث النظرة المستقبلية لهذه الجمهورية في ضوء جذورها التاريخية والمتغيرات العالمية وخاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. كما تناول السيناريوهات المستقبلية المتوقعة، وأشار إلى ضرورة حل الصراع ووضع حد لمعاناة الشعب الشيشاني، وذلك عبر المفاوضات مع الشعب الشيشاني وقواه السياسية المؤثرة وتحديد برنامج زمني لرسم مستقبل هذه الجمهورية بناءً على رغبة شعبها.

يشهد العالم اليوم عدداً من الصراعات السياسية والنزاعات الإقليمية التي تستنزف طاقة الإنسان وتجعله يعيش في خوف وقلق دائمين. ولاشك أن من القضايا البارزة والمشكلات المعقدة اليوم، قضية الشيشان، التي طالما سمعنا عنها في وسائل الإعلام المختلفة. ومن اللافت للنظر في هذه القضية الإصرار الروسي على التمسك بهذه الجمهورية، وعدم الاعتراف باستقلالها. هذا الأمر استوقف الباحث وجعله يفكر في هذه القضية وفي السمات والمقومات الجيوستراتيجية لهذه المنطقة (الجمهورية) والتي جعلتها بؤرة الصراع .

من هنا ولدت فكرة هذا البحث الذي سيتناول مقومات الشخصية الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان وجذور الصراع الروسي- الشيشاني ومستقبل هذه الجمهورية. ولعل من المفيد هنا التعريف بمصطلح الجيوستراتيجية - الوارد في العنوان- وتتبع تطور مفهوم الإستراتيجية وأبعاده.

إن كلمة الجيوستراتيجية Geo-strategy مصطلح مكون من جزأين جيو Geo وتعني أرض وإستراتيجية Strategy، وتعني فيما تعني فن القيادة والتخطيط الحربي، كما يشير إلى ذلك قاموس أكسفورد^(١). وهذه الكلمة في الأصل مشتقة من الكلمة اليونانية ستراتيجوس Strategus التي تعني قائد،

وتعني كذلك عمل القيادة^(٢). وهذا الفهم المرتبط بالجانب العسكري ظل هو الفهم السائد للإستراتيجية في الفترات السابقة، وهو الفهم الذي أشار إليه صاحب قاموس المورد عند ترجمته لكلمة Strategy، حيث ترجمها بقوله: "الإستراتيجية: علم أو فن الحرب؛ وضع الخطط وإدارة العمليات الحربية"^(٣). ولكن في الوقت الحاضر ومنذ بداية القرن العشرين فإن المهتمين بالدراسات الإستراتيجية أعادوا النظر في طروحاتهم و تعريفاتهم السابقة ودرسوا قضية الحرب والسلام بشكل أكثر شمولية؛ مما جعل مجال الإستراتيجية يتسع شيئاً فشيئاً حتى شمل مفهومها جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعسكرية^(٤). ومن ثم شمل تعبير الإستراتيجية واستخدامات هذا المصطلح العديد من الميادين، كالموقع الجغرافي، حيث يمكن أن يوصف موقع ما بأنه موقع إستراتيجي، كما قد يوصف قرار سياسي بذلك. بل قد يطلق أحيانا وصف الإستراتيجية على بعض الأسلحة ذات التأثير الحاسم^(٥).

والواقع أن هناك ارتباطاً بين مفهوم الإستراتيجية والواقع المكاني أو (الأطار الجغرافي)؛ لأن الوحدات السياسية تتركز على أسس جغرافية من حيث موقعها ومواردها، ومن هنا جاء مفهوم الجيوستراتيجية^(٦). وقد أشار أمين عبدالله إلى أن الجيوستراتيجية تتناول المركز الإستراتيجي للدولة أو المنطقة السياسية، اعتماداً على تحليل عناصرها الجغرافية من

() (:)

() (:) - :

() ()

() () ()

() () ()

() () ()

() () ()

() () () /

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

المناخ، والطبوغرافيا، والموقع، والشكل، والحجم، والسكان، والحدود،
والموارد^(٧).

:

-

يشكل الإصرار الروسي على الهيمنة على جمهورية الشيشان والتمسك بها طيلة قرنين من الزمن، ثم عدم الموافقة على استقلالها بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وتفككه، بل والمواجهة العسكرية ضد ذلك، يشكل هذا كله منطلقاً لإشكالية البحث وتساؤلاته. فعلى الرغم من اعتراف روسيا باستقلال جمهوريات صغيرة، أقل شأناً من الشيشان كدول البلطيق؛ أستونيا ولتوانيا ولاتفيا، فإنها لم توافق على استقلال الشيشان. فيا ترى ما هي الأسباب وراء ذلك؟ هل ذلك راجع لتمييز في موقعها يؤهلها للتحكم في الجمهوريات الأخرى لمنطقة القوقاز؟ أم لمواردها وثرواتها الاقتصادية؟ أم أن ذلك راجع لنوعية السكان وطبيعتهم؟ أم لأسباب أخرى؟ هذه التساؤلات والافتراضات هي ما يحاول هذا البحث الإجابة عليها ومناقشتها. وإجمالاً فإن البحث يهدف إلى ما يلي:

١- إبراز أهم مقومات الشخصية الجيوستراتيجية لجمهورية

الشيشان.

٢- تتبع جذور الصراع الشيشاني- الروسي ودوافعه

الجيوستراتيجية ومستقبله.

-

جمهورية الشيشان الواقعة في الشمال الشرقي في منطقة القوقاز
(القفقاس) المحصورة بين البحر الأسود وبحر قزوين (انظر خريطة رقم

() :

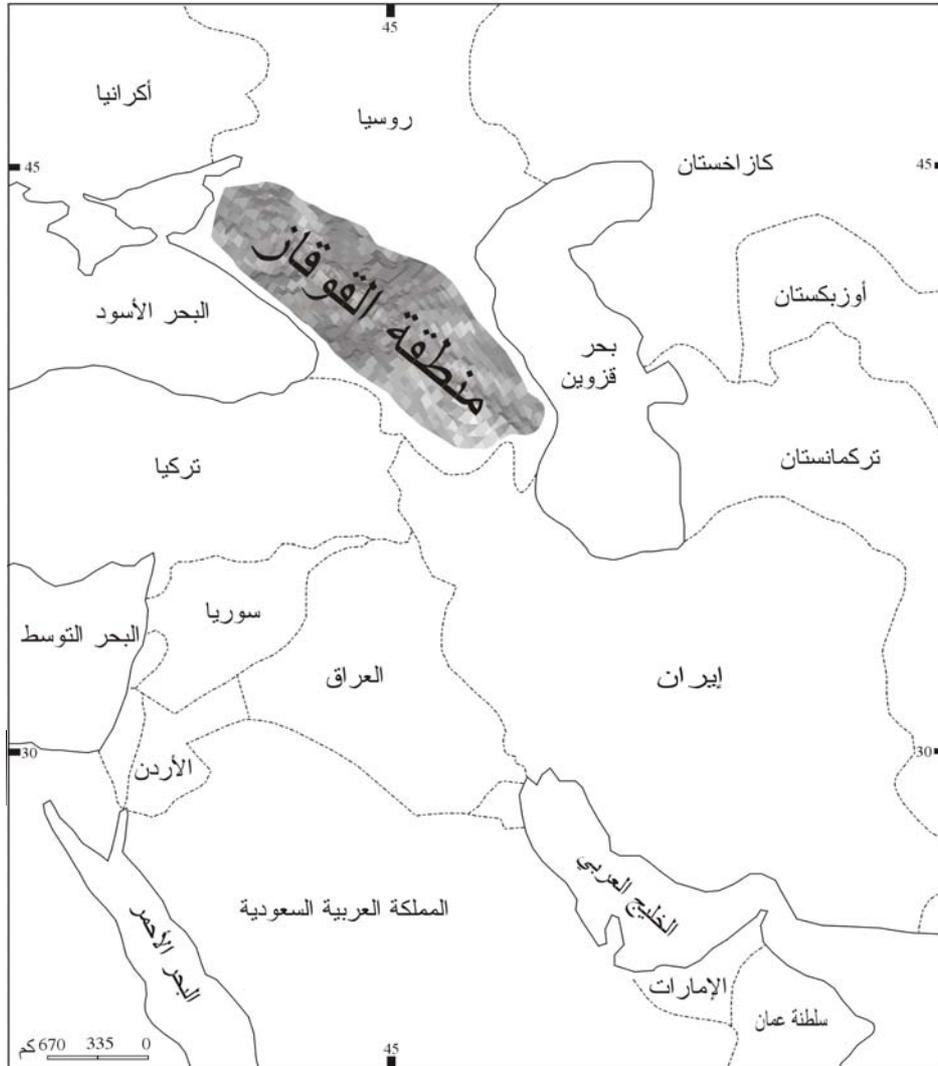
()

(

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

(١). وهي جمهورية حبيسة لا تطل على بحار، يحدها شمالاً إقليم ستافروبول الروسي، وداغستان، وجنوباً جورجيا، وشرقاً داغستان، وغرباً أنجوشيا وأوستينا الشمالية. وأطلق على هذه المنطقة اسم الشيشان منذ القرن الثامن عشر عندما غزا الروس البلاد، حيث كانت أول بلدة وصلوا إليها تسمى (شيشن أود)، ومن ثم أطلقوا الاسم على المنطقة و الشعب^(٨). تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠٠٠ كم^٢، وتغطيها الجبال في جزئها الجنوبي والسهول في الجزء الشمالي. ويصل عدد سكانها إلى مليون نسمة^(٩)، وهم مسلمون في الجملة حيث تصل نسبة المسلمين إلى ٩٠% (انظر موضوع التركيب السكاني). ومن أهم المدن: جروزني العاصمة، أرقون، شالي، قدرميس.

(.)



عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

MAP OF THE WORLD. 2000 HAMMOND WORLD ATLAS CORORATION :

هناك العديد من الكتب والمقالات العربية والإنجليزية، التي كتبت حول الشيشان والصراع الشيشاني- الروسي. وهي متفاوتة في تاريخها ومحتواها؛ فمنها التاريخي الذي تحدث عن فترات الصراع، ومنها ما تناول الوضع الراهن ومدى معاناة الشعب الشيشاني. ومنها الجغرافي الذي أشار إلى جوانب في جغرافية الشيشان.

ومن أبرز الكتب التي تناولت الجانب التاريخي كتاب "احتلال الروس للقفقاس" وهو كتاب ضخيم في أكثر من ٥٥٠ صفحة، وقد كتب أصلاً باللغة الإنجليزية وترجمه صادق عوده إلى العربية، وصدر عام ١٩٨٧م. وهناك كتاب "حرب القوقاز الأولى" لـ أحمد موسى الشيشاني (١٩٩٥م). وكلا الكتابين ركزا على حرب القوقاز الأولى في القرن التاسع عشر والتي نتج عنها استيلاء الروس على القوقاز.

أما الكتب العامة، فمن أبرزها كتاب "الشيشان- صقور الجبال البيضاء" لـ جمال بن فضل الحوشيبي (١٩٩٥م)، وكتاب "المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي" الذي صدر عن

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

رابطة العالم الإسلامي (١٩٩١). وكتاب "عزة الإسلام في جهاد الشيشان" لـ إيمان السليمان (٢٠٠١م). وكتاب "محنة الشيشان" لـ شعبان عبدالرحمن (٢٠٠١م) وكتاب "الشيشان بين المحنة والواجب" لمصطفى كسبه (١٩٩٥م) وغيرها .

وهذه الكتب يجمعها أنها عامة كتبت لمختلف القراء وتركز على واقع المسلمين ومعاناتهم في الشيشان والأنجوش. ومثلها وعلى السياق نفسه تلك الكتب والبحوث التي تحدثت عن الأقليات المسلمة في آسيا، كبحث سيد عبدالمجيد بكر عن - الأقليات المسلمة في قارة آسيا، والذي نشر في الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي التي أصدرتها جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٩هـ. وكتاب محمد السيد غلاب وزميله "البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر" الذي صدر عن المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول الذي عقد بجامعة الإمام عام ١٣٩٨هـ.

ولعل من أيسر الكتب التي تناولت منطقة القوقاز (قفقاسيا) بشكل عام، كتيب "قفقاسيا" للأستاذ محمود شاكر (١٩٧١م)، والذي تناول فيه بإيجاز جغرافية المنطقة وانتشار الإسلام فيها وواقع المسلمين في تلك المنطقة ومنها الشيشان. ونظراً لصدوره قبل أكثر من ٣٠ عاماً، فإن إحصائياته وبعض تحليلاته قديمة.

أما عن الواقع وما قام به الجيش الروسي في الشيشان، فقد تناوله بشيء من الإيضاح كتاب (الشيشان: السياسة والواقع لـ سليم يندر باييف (١٤٢١هـ).

وإلى جانب هذه الكتب، هناك عدة مقالات نشرت في بعض المجالات ومواقع الإنترنت، كموقع صوت القوقاز qqqaz.com. ومن هذه المقالات، مقالة علي جوني (الحرب في تشيتشينا والجيوپولتيكا الروسية الخارجية) التي نشرتها مجلة شئون الشرق الأوسط (١٩٩٥م)، وتناول فيها الباحث بعمق عوامل الغزو الروسي وعلاقته بالتوجهات السياسية للسلطة في موسكو. وغيرها من مقالات يجمعها الحديث عن الواقع ومستجدات الأحداث والتطورات .

وإلى جانب هذه الدراسات العربية، هناك العديد من الكتب الإنجليزية التي تناولت القضية الشيشانية والصراع الشيشاني - الروسي،

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

ومن أبرزها كتاب: Russia Chechnya, Roots of a Separatist Conflict (1998)، وكذلك كتاب: Russo-Chechen conflict, (1800-2000) . وهذه الكتب يجمعها أنها كتبت من وجهة نظر الغربيين في الجملة، وركزت على تاريخ الصراع الشيشاني - الروسي.

ولعل من أبرز المشكلات التي واجهت الباحث في معرض جمع المادة، ندرة المصادر الإحصائية الحديثة؛ وذلك نتيجة للحروب وعدم الاستقرار الذي منيت به هذه البلاد مدة طويلة من الوقت. ومن خلال استعراض هذه الدراسات تبين للباحث تنوعها وتعدد مجالاتها؛ فهي بمجموعها تبني التصور المتكامل عن الصراع وجذوره والجوانب الجيوستراتيجية ذات التأثير في الصراع. ولكن إذا أخذنا هذه الدراسات على انفراد - كل على حده- فإن التصور لا يتضح بصورة متكاملة. ولعل هذا البحث يسهم في تحقيق هذا التكامل ويعطي الصورة الواضحة لهذا الصراع وأبرز المقومات الجيوستراتيجية لهذه الجمهورية. حيث حرص الباحث على الجمع بين هذا التنوع المعلوماتي - الجغرافي والتاريخي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي- في منظومة متسقة وبناء جديد يسهم في إعطاء التصور المتكامل لهذه المنطقة. وهذه ميزة البحث الجغرافي السياسي حيث ينسق ويؤلف بين المعلومات في هذه الميادين وخاصة مايتعلق بالبيئة الجغرافية والواقع السياسي، ثم يخضعها للاستقراء والتحليل لتخرج بصورة جديدة وصياغة تختلف عن التخصصات الأخرى. فالجغرافيا السياسية كما عرفت لجنة الجغرافيا السياسية بجمعية الجغرافيين الأمريكيين هي:دراسة التفاعل بين المناطق الجغرافية والعمليات السياسية^(١٠). وهي- أي الجغرافيا السياسية - كما أشار الديب "تهتم بدراسة العوامل الجغرافية التي تؤخذ في الحسبان عند اتخاذ

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

القرارات والأفعال السياسية"^(١١). وهذا الصراع الشيشاني- الروسي يمثل إجراءً وفعلاً سياسياً وراءه عدة قرارات اتخذها ويتخذها طرفا النزاع. وتأتي هذه الدراسة لتبحث جانبا من جوانب التفاعل بين العوامل الجغرافية وهذه القرارات والإجراءات السياسية. وإذا كانت بعض الدراسات السابقة تضمنت بعض المعلومات والحقائق عن المعالم الطبيعية للشيشان من جبال وغيابات وغيرها، أو تناولت السكان وتركيبهم، أو تاريخ المنطقة ووضعها السياسي. فإنها في معظمها، تورد هذه المعلومات والحقائق مجردة وبدون تحليل أو إشارة إلى أبعادها الجيوستراتيجية والسياسية ودورها في الصراع الدائر حول هذه الجمهورية. ويأتي هذا البحث ليحاول الربط بين هذه الحقائق الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والصراع الدائر، وكذلك ليظهر دور هذه الحقائق في توجيه هذا الصراع وإدارته وبناء الاهتمام الروسي بهذه الجمهورية.

-

نظراً لشمولية البحث في الجغرافيا السياسية وتناوله لعدة جوانب وعناصر طبيعية وبشرية، إلى جانب البعد التاريخي للمنطقة أو المشكلة السياسية المدروسة؛ فإن الباحث في هذا الفرع يحتاج لأكثر من منهج ومدخل ووسيلة للبحث للوصول إلى أهدافه. ذلك أنه لا بد لفهم الظاهرة الجغرافية السياسية من دراسة خصائصها التاريخية والمورفولوجية والوظيفية. وليس هناك منهج واحد حتى الوقت الحاضر قادر على تفسير كل هذه الخصائص بل لابد من عدة مناهج"^(١٢).

وبناءً على ذلك فقد اعتمد الباحث على المنهج التاريخي في تناول مراحل الصراع الشيشاني- الروسي، وفي تتبع المراحل التي مرت بها

() - () :

()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

الشيشان حتى وصلت إلى الوضع الراهن. كما تم الاعتماد على المنهج الإقليمي في دراسة هذا الإقليم - الشيشان - طبيعياً وبشرياً. وتم استخدام أسلوب تحليل القوة كجزء من طرق التحليل الاستقرائي؛ لإبراز أهم عوامل القوة الطبيعية والبشرية لهذه المنطقة والتي شكلت أسس الجذب الروسي في هذا الصراع.

:

نحاول في هذا الموضوع الإجابة على تلك الأسئلة المهمة التي تم طرحها في مقدمة البحث وهي الأسباب والعوامل وراء الاهتمام الروسي بالشيشان، وهي المقومات الجيوستراتيجية نفسها لجمهورية الشيشان، وهذه المقومات مختلفة؛ فمنها الطبيعية والبشرية والاقتصادية، وسوف يتم تناول أهم هذه العوامل كلاً على حدة .

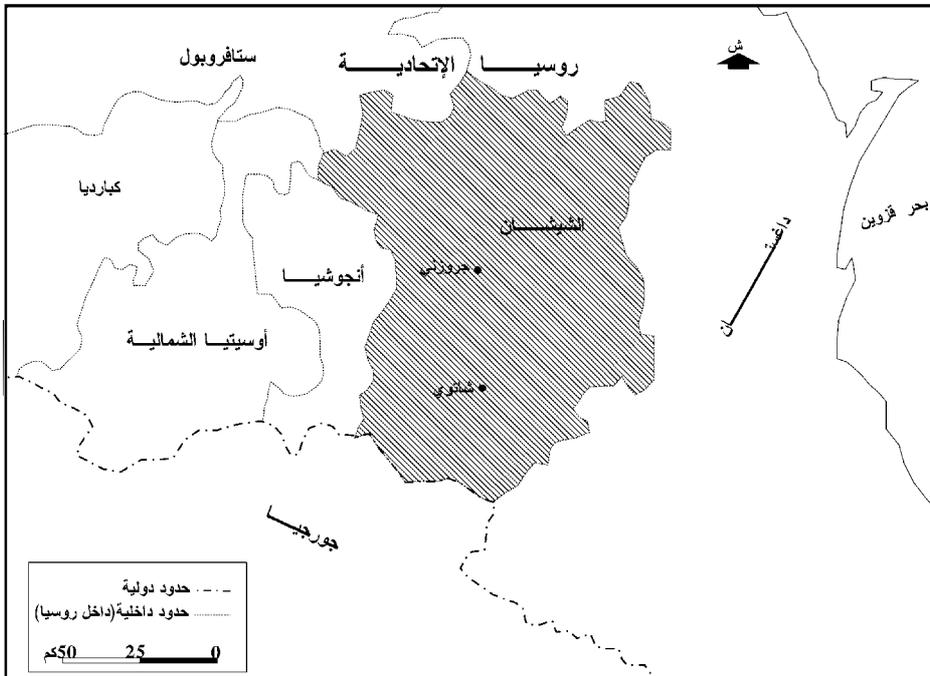
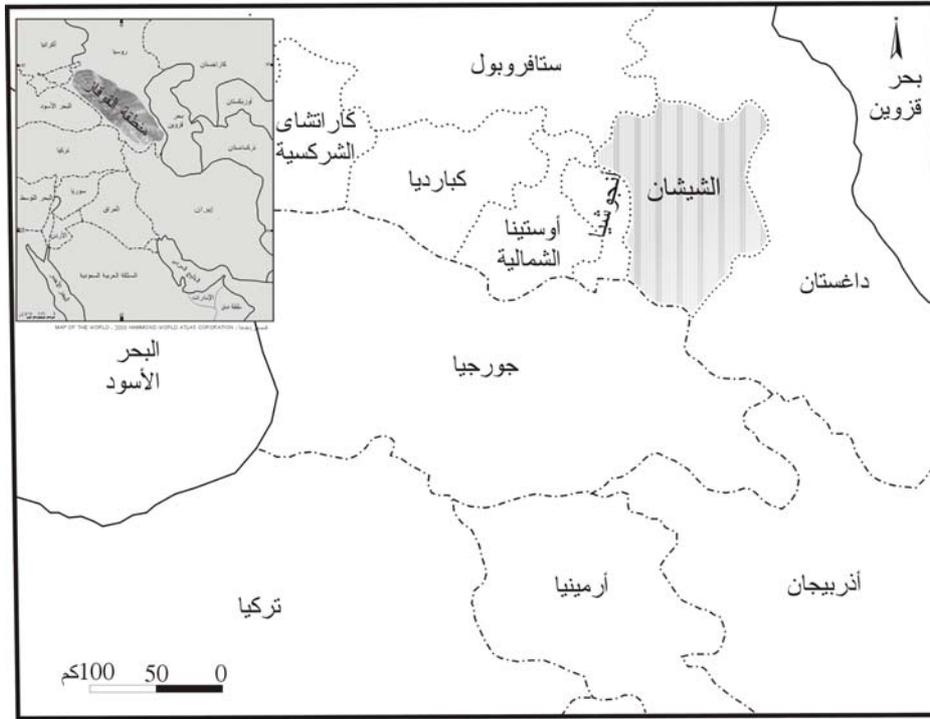
الشيشان هي إحدى جمهوريات منطقة القوقاز (القفقاس) الواقعة بين البحر الأسود و بحر قزوين (انظر خريطة رقم ١) و تقع هذه الجمهورية في الشمال الشرقي من هذه المنطقة، يحدها شمالاً إقليم ستافروبول الروسي وداغستان، وجنوباً جورجيا، وشرقاً داغستان، وغرباً أنجوشيا وأوستينا الشمالية (انظرخريطة رقم ٣و٢). وقد كانت هذه الجمهورية تشكل مع أنجوشيا جمهورية واحدة حتى نهاية عام ١٩٩٢م عندما اتخذت حكومة موسكو قراراً بفصل منطقة أنجوشيا عن الشيشان^(١٣). ومنطقة القوقاز (القفقاس) بشكل عام تنقسم إلى قسمين:

() Smith, S. *Allah's Mountains: Politics and War in the Russian Caucasus* (I.B Tauris Publ., London, 1998) p.108.

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

أ (منطقة القوقاز الشمالي، و تضم إلى جانب هذه الجمهورية (الشيشان) كلا من: داغستان، أنجوشيا، أوستينا الشمالية، كاراتشي الشركسية، كبارديا، وأبخازيا.
ب) منطقة القوقاز الجنوبي، وتضم: جورجيا، أرمينيا، أذربيجان، أجاريا (انظر الخريطة ٢).

(.)



عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

UNHR,INALCO EUROPA Technologies Ltd.Map of North Caucasus, As

of 6 June 2000.

وهذا الموقع يبرز أن هذه الجمهورية تتمتع بموقع مهم، حيث تقع في منطقة القوقاز التي هي منطقة الربط بين قارتي آسيا وأوروبا والحد الفاصل بينهما. وتمتلك هذه المنطقة طرق التجارة الرئيسية بين القارتين، إذ يمر في وسطها ممر دريال الذي يجري فيه أحد روافد نهر ترك وجميع الشعوب التي توجهت إلى أوروبا دخلتها عن طريق منطقة القوقاز^(١٤).

وهذه المنطقة (القوقاز) تحتل أهمية كبيرة في الفكر الروسي الجيوبوليتيكي في الماضي والحاضر للأسباب التالية:

١- أنها تمثل الحدود الجنوبية لروسيا الاتحادية وخط التماس بين

العالمين السلافي والإسلامي. ولذا فإن الروس يعتبرون جبال القوقاز حدوداً طبيعية إستراتيجية مثالية للدفاع عن روسيا من جهة الجنوب؛ لذلك لا بد أن تكون كل شعوبها تحت السيطرة الروسية، أو أن تدار وتحكم من قبل حكومات موالية تماماً لروسيا، ومن يشذ عن هذه القاعدة تجب معاقبته ومواجهته بالقوة.

٢- أن الشيشانيين بحكم موقعهم في منطقة القوقاز سيؤثرون في

الشعوب الأخرى المجاورة كالأنجوش والداغستانيون والكلبارد والبلكار في حالة استقلالهم ومن ثم تسري روح الاستقلال إلى كل هذه المناطق المجاورة.

)

()

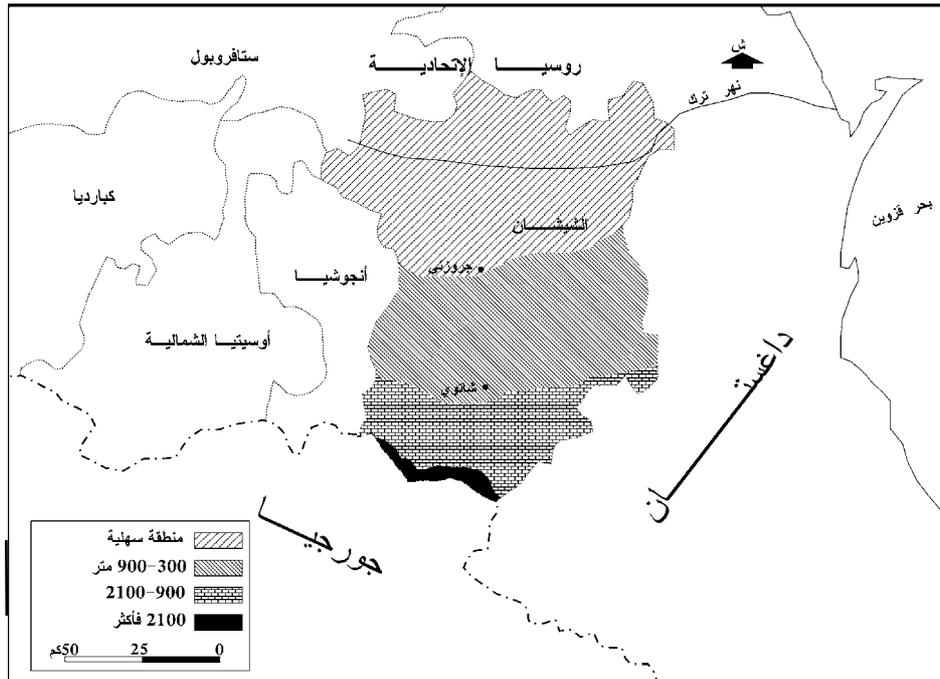
(

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

() -

يمكن التمييز بين القسم الجنوبي و القسم الشمالي في هذه الجمهورية؛ حيث يتسم القسم الجنوبي بطبيعته الجبلية بينما يأخذ الشمالي الطبيعة السهلية. ففي الجنوب توجد جبال القوقاز وسفوحها الشمالية، وهي جزء من سلسلة جبال القوقاز الممتدة من البحر الأسود إلى بحر قزوين في اتجاه جنوبي- شرقي، وهذه الجبال جزء من مرتفعات الألب^(١٥). وجبال القوقاز تعد الحد الفاصل بين أوروبا وآسيا وترتفع في أجزاء منها أكثر من خمسة آلاف متر فوق سطح البحر، وتضم في وسطها ممراً وحيداً هو ممر دريال الذي يجري فيه أحد روافد نهر ترك Terek العليا، كما أن هناك منطقتين يمكن اجتياز هذه الجبال من خلالهما، وهما عند الطرفين في الشرق عند ساحل بحر قزوين وفي الغرب عند ساحل البحر الأسود^(١٦). وتبدأ المنطقة في الارتفاع في القسم الجنوبي عن بعد ١٥ ميل (٢٤ كم) جنوب جروزني (العاصمة)، ويتدرج الارتفاع كلما اتجهنا جنوباً إلى الحدود مع جورجيا حيث يتجاوز الارتفاع أحد عشر ألف قدم (٣٣٥٢,٨ م) (انظر خريطة رقم ٤). وهذه المرتفعات مغطاة بالغابات الكثيفة وتتبع منها عدة مجاري مائية تشكل بعض روافد نهر ترك.

(.)



أما القسم الشمالي السهلي فيبدأ جنوب جروزني ويمتد ليتصل بالسهول الروسية. وهي سهول عشبية زراعية دائمة الخضرة يجري فيها نهر ترك وروافده المتعددة، وهذا النهر هو أهم أنهار منطقة القوقاز^(١٧). إن وجود كلا الطبيعتين الجبلية والسهلية في هذه الجمهورية يعد عاملاً إيجابياً. فتوفر السهول ذات الأنهار ساعد الشيشانيين في الإنتاج الزراعي، حيث اشتهرت هذه البلاد بهذا في التاريخ.

أما الطبيعة الجبلية فساعدت السكان على الدفاع والصمود في وجه الروس حيث يلجأ إليها المحاربون ويشنون منها حرب عصابات متواصلة ولا يستطيع الجيش الغازي السيطرة والتحكم في هذه المنطقة الجبلية؛ لصعوبتها وتعقد تضاريسها. وهذا ساعد على وجود الروح الاستقلالية عند الشعب الشيشاني. وقد عرف سكان الجبال في الشيشان وغيرها من مناطق القوقاز في الأدبيات الروسية بالجبلين، وأصبح هذا الوصف يعني الصمود والمواجهة.

وهذه الحماية الطبيعية الجبلية التي أحسن الشيشان استغلالها ظهرت آثارها بوضوح خلال فترات الصراع الشيشاني- الروسي، فهذا الكاتب الروسي تروناو (Tronau) الذي رافق الحملة الروسية سنة ١٨٢٣م

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

يقول: "ويستحق الشيشان كخصوم كل تقدير واحترام، وفي وسط غاباتهم وجبالهم لا تستطيع أية قوات أن تحقرهم"^(١٨).
كما أن هذه الطبيعة الجبلية تسهل رصد أي تحرك وأي نشاط يحدث في السهول الروسية، وبعبارة أخرى فإن مدن وأرياف روسيا تصبح مكشوفة أمام الرصد الشيشاني.

-

نظراً لموقع الشيشان في العروض الباردة، شمال دائرة عرض ٤٢ شمالاً، بالإضافة إلى ارتفاع سطحها وخاصة في جزئها الجنوبي؛ فإن مناخها بارد جداً في فصل الشتاء حيث يصل معدل درجة حرارة يناير إلى ما دون درجة التجمد، بل تنخفض الحرارة إلى ست درجات مئوية تحت الصفر. أما في الصيف فالمناخ حار في المناطق السهلية في الجزء الشمالي حيث يصل معدل درجة الحرارة في شهر يوليو إلى حوالي ٢٤ درجة م. أما في المرتفعات فتقل الحرارة وتميل إلى الاعتدال. وتتسبب العواصف الرعدية في سقوط الأمطار التي تتراوح كميتها السنوية ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ ملم^(١٩).

هذه السمات المناخية تشكل عاملاً إيجابياً، إذ ساعدت على قيام الزراعة في المنطقة، وتوافر الغطاء النباتي المتمثل في الغابات على سفوح الجبال وأودية الأنهار والحشائش في السهول مما ساهم في توافر الثروة الحيوانية.

ومن جانب آخر فإن الشتاء القارس وانتشار الثلوج في المناطق الجبلية يزيدان حصانة وحماية طبيعية في هذا الفصل حيث يصعب اجتيازها من قبل الروس كما أنه يحدد من تحركات الشيشان العسكرية؛ ولذا نجد أن العمليات العسكرية والمواجهات بين الطرفين غالباً ما تكون في فصل الصيف. وحول تأثير هذه الظروف المناخية الصعبة جاء في كتاب

() Baddely :

(

/ ()

()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

احتلال الروس للقفقاس لبادلي حول أحداث ١٨٤٥م ما يلي: "استمر باسك في تحركه نحو زونو - مير إلى قوله - وتغير الطقس فجأة من حر الصيف إلى برد قارس وقد عانى الجنود بصورة مريعة لمدة خمسة أيام من الريح والصقيع والثلج وفقدان المؤن وأصيب ما لا يقل عن ٤٥٠ منهم بتجمد أطرافهم ونفق خمسمائة حصان"^(٢٠).

تغطي الغابات مساحات كبيرة في الشيشان، وخاصة في سفوح الجبال وأحواض الأنهار حيث تنتشر أشجار الزان وتحاط بالكثير من القرى والمدن. وهذه الغابات تشكل أحد العوامل الجيوستراتيجية المؤثرة في المنطقة ليس في الجانب الاقتصادي - وإن كان هذا له اعتباره - ولكن الأهم من هذا هو الجانب العسكري والمواجهة مع الغزاة. ولذا فقد كان هناك اهتمام عند الشيشانيين بجعل أحد أطراف القرية ملاصقاً للغابة؛ ليسهل هروب النساء والأطفال وأخذ ما خف حمله إلى داخل الغابة. وقد أشار بعض الكتاب الروس الذين تحدثوا عن الصراع الروسي - الشيشاني إلى هذا الدور للغابات، حيث ذكر أحدهم أن غابات شيشانيا كانت قاتلة للكفاءة العسكرية، وأنها كانت مقبرة للشجعان الذين كان في وسعهم القضاء بسرعة في المناطق المكشوفة على أعداء أكثر من الشيشان عدداً وعدة.

ونظراً لهذه الأهمية نجد أن الإمام شامل حرص كل الحرص على سلامة الغابات بل أعطى أوامر مشددة للمحافظة عليها، وفرض غرامات ثقيلة على من يقطعها بدون أذنه^(٢١).

وقد أحسن الشيشان استغلال هذه الظاهرة الطبيعية في مواجهة الغزو الروسي منذ بداياته إلى اليوم. ففي زمن الشيخ منصور، وعندما اقتحم الجيش الروسي بقيادة بيرى عاصمته أدي حوالي عام ١٧٨٦م وأضرم فيها النار فإنه عند عودته أحيط به وبجيشه في الغابات الكثيفة. حيث فني معظم الجيش وقتل القائد بيرى نفسه.

() Baddely

() Baddely

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

والخطة نفسها نفذها الإمام شامل عندما قرر الروس مهاجمة عاصمته دارغو عام ١٨٤٥م بقيادة فورتسوف - وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء المتعلق بتاريخ الصراع - حيث قام الإمام بتوزيع معظم قواته في الغابات المحيطة بدارغو؛ وذلك لمهاجمة الجيش الروسي بعد عودته. وهذا ما حصل بالفعل فعندما قفل الجيش راجعاً بعد أن دمر المدينة تحولت الطريق عبر هذه الغابات إلى جبهة قتال واسعة مما أوقع الخلل في الجنود الروس وأصابهم بهزيمة ساحقة .

ومع طول مواجهة الروس وتلقيهم الضربات فإنهم أدركوا أهمية الغابات في المعركة ولذا عمدوا فيما بعد إلى سياسة الأرض المحروقة، حيث دمروا وأحرقوا مساحات شاسعة من الغابات من أجل الوصول إلى القرى والقلاع الشيشانية. وكان أشهر من قام بذلك القائد الروسي يرمولوف في العشرينات من القرن ١٩ الميلادي. يقول الكاتب الروسي تورناو الذي رافق حملة ١٨٣٢م الروسية في ذلك الوقت سنة ١٨٣٢م: "لم نكن قد شققنا ممرات عبر الغابات بعد، وفي العشرينات المبكرة من القرن التاسع عشر كان يرمولوف قد قام بقطع أشجار لمسافات عرضها مرمى البندقية على كل جانب من الطريق خلال غابة غويتين الشهيرة، ولكن هذه المناطق التي قطعت أشجارها عادت فتمت مرة ثانية بظهور أشجار صغيرة الحجم فيها لا يمكن اختراقها، بحيث أضطررنا لمواجهة القتال في شيشانيا حتى أصعب الظروف"^(٢٢).

-

تتوافر في الشيشان المياه بمصدرها الأنهار والأمطار، فموقعها في السفوح الشمالية لجبال القوقاز جعل المياه تتدفق إليها بغزارة من الجبال وتشكل أنهاراً كثيرة تلتقي كلها بنهر ترك. كذلك فإن الأمطار تسقط عليها بغزارة، حيث تتراوح كميتها بين ٤٠٠-٥٠٠ملم- كما سبق ذكره - وهذه الوفرة للمياه تشكل عاملاً إيجابياً للبلاد سواءً في الزراعة أو الصناعة وإنتاج الكهرباء - عند بناء السدود- بل وحتى في السياحة، حيث

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

توجد تلك المساقط للمياه والمناظر الطبيعية الخلافة التي تستهوي السياح. وإلى جانب المياه فهناك تتوفر التربة الخصبة في منطقة الحشائش السهلية في النصف الشمالي.

-

-

تتفاوت المصادر في تحديد عدد سكان الشيشان، فمثلاً نجد شعبان عبدالرحمن يشير إلى أن عدد سكان هذه الجمهورية كان عام ١٩٩٣م مليون ومائتي ألف (١,٢ مليون)، ثم أصبح بعد حرب الشيشان الأولى (أي في عام ١٩٩٦م) مليون نسمة فقط، أي أن ضحايا الحرب من القتلى والمشردين بلغت مائتي ألف نسمة^(٣٣). وهناك مصدر آخر - اعتمد على الإحصائيات الروسية - يقدر عدد السكان بتسعمائة وعشرين ألف لعام ١٩٩٦م^(٣٤). وبناءً على ذلك، وحيث لا توجد إحصاءات حديثة بسبب ظروف الحرب، يمكن تقدير عدد السكان بحوالي المليون نسمة. ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أن عدد سكان هذه الجمهورية تأثر كثيراً بالحروب والمواجهات مع روسيا التي امتدت خلال أكثر من قرنين من الزمن. وفي المثال المتعلق بحرب ١٩٩٤م دليل واضح على ذلك. وقد أشار صاحب كتاب قتلة الأمم (Nations Killers) إلى أن سكان الشيشان تدنى عددهم بعد حرب القوقاز إلى الربع^(٣٥).

-

: تعتبر منطقة القوقاز بشكل عام من أكثر مناطق

العالم تعقيداً في التركيب العرقي واللغوي، حيث تضم أكثر من ٤٠ مجموعة عرقية و ٣٠ لغة، وأكثر من ديانة^(٣٦). ومن أسباب هذه التركيبية

() () / ()

() . Europa Publ.Ltd, the Territories of the Russian Federation, first edition (London, 1999) p. 50.

() () : () / ()

() .Seegy, R. Russo-Chechen Conflict 1800-2000, A deadly Embrace (London, Frank Cass Publ., 2001) p 6

المعقدة أن المنطقة كانت ممراً رئيساً عبر العصور للتبادل التجاري والحضاري بين أوروبا وآسيا، إضافة إلى ما قام به الروس بعد احتلال المنطقة من تغيير للتركيبة السكانية.

وإذا أتينا إلى جمهورية الشيشان، فإننا نجد سيادة العرق الشيشاني إلى جانب أعداد محدودة من بعض الأعراق الأخرى. فمجموعة الشيشان الذين ينتمون إلى العرق القوقازي الإيبيري يشكلون الغالبية من السكان. ثم هناك مجموعة محدودة من الروس الذين ينتمون إلى العنصر السلافي، والذين وفدوا إلى المنطقة بعد استيلاء الروس عليها. وقد ازدادت أعدادهم آنذاك بعد عملية التهجير التي فرضت على الشعب الشيشاني بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك حسب خطة روسية ترمي إلى تغيير البنية السكانية لهذه المنطقة. وإلى جانب هؤلاء وأولئك توجد مجموعات أخرى محدودة العدد كالأنجوش الذين يلتقون مع الشيشان في أصل واحد. وحسب إحصاءات عام ١٩٨٩م الروسية فإن العنصر الشيشاني يشكل ٦٦% من عدد السكان، يليهم الروس ونسبتهم (٢٥%) ثم الأنجوش^(٢٧). وبقية النسبة تشترك فيها مجموعات عرقية أخرى كالداغستانيي والأرمن وغيرهم.

ولكن ما ينبغي ملاحظته أن هذه النسب قديمة، ولذا فقد تغيرت في الوقت الحاضر، خاصة وأن هذه الجمهورية تعرضت لأحداث كبيرة في الفترة التي تلت سنة الإحصاء المذكور ١٩٨٩م، وهي أحداث كان لها تأثيرها البالغ في الاخلال بالتركيب السكاني. ويأتي في مقدمة هذه الأحداث حرب عام ١٩٩٤م والحرب التي اندلعت عام ١٩٩٩م والتي لازالت فصولها تتابع حتى تاريخ كتابة هذا البحث. إضافة إلى إعلان الشيشان عن استقلال بلادهم عام ١٩٩١م ثم انفصال أنجوشيا عام ١٩٩٢م. بل وحتى قبل هاتين الحربين، فإن مؤشر نزوح الروس من الشيشان سجل ارتفاعاً واضحاً، ويدل على ذلك ما أظهره استطلاع روسي أجري في نهاية عام ١٩٩٢م بأن ٣٧% من السكان الروس في الشيشان يرغبون في الهجرة من الشيشان في حالة الاستقلال. هذا كله قبل وقوع الحرب! فما بالك بعد قيامها؟ لقد ارتفعت النسبة وازدادت الرغبة في الهجرة، حيث بلغ عدد

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

الروس الذين تركوا الشيشان عند بداية أزمة ١٩٩٤م ما يقل عن مائتي ألف نسمة^(٢٨). وازداد الوضع سوءاً بالنسبة للروس بعد أزمة ١٩٩٩م، مما يؤكد تدني نسبتهم في الجمهورية بشكل كبير. وإذا كان عدد الروس قبل إعلان الاستقلال يتراوح ما بين مائتين وخمسين ألف وثلاثمائة ألف نسمة^(٢٩)؛ فإن عددهم بعد هذه الهجرات انخفض إلى أقل من مائة ألف ونسبتهم تدنت إلى أقل من ١٠% من السكان. ومن ثم ساد العرق الشيشاني، مما يعني وجود التجانس العرقي في البلاد، وهذا أحد عوامل قوتها.

ومن جانب آخر تبرز في الشيشان الظاهرة القبلية، حيث تبرز عدة قبائل كبيرة لها ثقها الاجتماعي. ويأتي في مقدمة هذه القبائل: (أ) قبيلة بينوي وهي أكبر القبائل. (ب) قبيلة قرتشوي، وهي ثاني قبيلة، ثم يأتي بعد ذلك عدة قبائل تتفاوت في العدد^(٣٠).

- : الشعب الشيشاني في الجملة شعب مسلم سني، تصل نسبة المسلمين فيه إلى ٩٠%. وتشير بعض المراجع القديمة التي تحدثت عن جمهورية الشيشان-أنجوشيا (قبل انفصال أنجوشيا)، إلى أن نسبة المسلمين تتراوح بين الثلثين وثلاثة أرباع مجموع السكان. ففي كتاب (البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر)، تصل نسبتهم إلى ٧٤% من السكان^(٣١)، بينما يشير سيد بكر في الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، إلى أن نسبة المسلمين عام ١٩٩١م ٦٦%، ونسبة

() Yu.Nikolaev, edit, the Chechen Tragedy Who is to Blame? (Nova Science Publi, New York, 1996)

() ()

()

() () :

(

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

الروس ٣٠% من السكان (٣٢) .

وهذه الإحصائيات تتحدث عن فترة ما قبل إعلان الشيشانيين الاستقلال عن روسيا عام ١٩٩١م، وما أعقب ذلك من أحداث وحروب أشرنا إليها في معرض الحديث عن التركيب العرقي. والذي يهمننا هنا هو تدني نسبة الروس بشكل كبير؛ مما يعني ارتفاع نسبة المسلمين إلى ٩٠% من جملة السكان، والنسبة المتبقية يشترك فيها النصارى وأصحاب العقائد الأخرى. وهذا يعني الوحدة العقديّة والفكرية مما يشكل عامل قوة لهذه البلاد.

وفي معرض الحديث عن الدين في هذه الجمهورية، فلا بد من الإشارة إلى أن الدين الإسلامي كان ولا يزال له الدور الكبير في تشكيل الموقف والتوجه السياسي في هذه الجمهورية، ومن ذلك الموقف من روسيا وإدارة الصراع معها. فالقيادات التي استطاعت أن تجمع الشيشان وغيرهم من سكان المناطق المجاورة، وتبث فيهم روح المواجهة للروس هي قيادات إسلامية، قادت الناس تحت راية الجهاد - وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء المتعلق بجذور الصراع- فالإمام منصور - الذي حارب الروس في الشيشان - هو أحد أئمة الدين، وكذلك الإمام غازي مولا. يضاف إلى هذا أن الحركة المريدية التي عرفت في تاريخ القوقاز وبرزت في قيادة الصراع مع روسيا هي حركة دينية. وكذلك الإمام شامل - الذي قاد حرباً ضروساً ضد الروس - هو الآخر عالم وإمام من أئمة المسلمين في تلك البلاد.

وقد استمر الوضع كذلك إلى وقتنا الحاضر، حيث يحارب الشيشان تحت راية الجهاد في سبيل الله، فهذا القائد الشيشاني (شامل باسايف)، في لقاء معه في موقع صوت القوقاز يقول عندما سئل عن مجلس الشورى العسكري الذي يرأسه: "مجلس الشورى العسكري والحمد لله خطط تخطيطاً جيداً للجهاد في هذا الصيف إلى أن يقول: فنحن لا نقاتل من أجل الأثر في هذه الحرب فقط، بل نقاتل لننال رحمة الله في هذا السبيل

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

ونحرص على أن ننفذ الأمة الإسلامية والجهاد أكثر وأكثر^(٣٣). ونظراً لهذا الدور، نجد أن الروس في الآونة الأخيرة، يحرصون على استغلال بعض الخلافات الدينية؛ لإضعاف روح الجهاد، فهم يثيرون في وسائل الإعلام بأن حملتهم ضد الوهابية الطارئة على الساحة الشيشانية مستغلين وجود بعض المجاهدين العرب والحملة الإعلامية ضد حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إلى جانب حساسية بعض أصحاب الطرق الصوفية تجاه هذه الحركة. وفي نفس الوقت يحرصون على إقامة علاقات مع بعض المرجعيات الدينية في الشيشان ودعمها سياسياً ومادياً؛ وذلك لذكاء روح الخلاف بين المسلمين في الشيشان من أجل إضعاف أثر الدين في الصراع الدائر بين الجانبين الشيشاني والروسي. ومع تنوع وسائل أساليبهم الإعلامية والدعائية وطول فترة الصراع واشتداد الوطأة على الشيشانيين فقد حقق الروس بعض النجاح بهذه السياسة، حيث كسبوا بعض الزعماء الدينيين إلى جانبهم كالزعيم قاديروف - الذي قتل على يد المناوئين للوجود الروسي- ولكن وعي قطاع من الشعب وطول الصراع وقسوة الضرب الروسي للمدن والقرى أثر في نجاح هذه السياسة.

- هي اللغة الشاشانية، وتسمى لغة الناخ Nakh، وهي من فروع المجموعة اللغوية المعروفة بالأيروقوقازية. وكانت هذه اللغة حتى منتصف العشرينات من القرن العشرين تكتب بالحروف العربية، ثم استبدلت في الفترة من ١٩٢٨-١٩٣٨م بالحرف اللاتيني، ثم استخدمت الحروف الكيريلية الروسية^(٣٤). وهذا الاستبدال جاء؛ لتحقيق خطة روسية ترمي لفصل السكان عن تراثهم الإسلامي وعن الشعوب الإسلامية الأخرى، وربطهم بالروس والتراث الروسي. وسيادة اللغة الشيشانية يعني الوحدة اللغوية بين السكان، وهذا مما يساعد على التجانس السكاني ويعزز الوحدة السياسية.

-

وفي نهاية الحديث عن العوامل البشرية ذات البعد الجيوستراتيجي، لا بد من الإشارة إلى جانب مهم في هذا العنصر البشري، له دوره في الصراع مع روسيا، ألا وهو بأس المقاتل الشيشاني وشجاعته. حيث يتسم بقوته وشدة بأسه وشجاعته وإقدامه، وهذه السمات شاركت عدة عوامل في وجودها، منها: الإيمان وحب الجهاد والاستشهاد، إضافة إلى الطبيعة الجبلية والظروف القاسية التي ربتهم على تحمل المشاق ومواجهة الصعاب. وقد شهد بهذه الصفات أعداء الشيشان قبل أصدقائهم. فهذا الكاتب الروسي ليرمانتوف في كتابه (بطل من هذا الزمان) يشير إلى المقاتلين الشيشان بأنهم سيوف مستميتة، ويذكر بأنه رأى بعضهم أثناء القتال ممزقين إرباً وأجسادهم مثقوبة. ومع ذلك يستمرون في استخدام سيوفهم وكأنهم لا يشكون شيئاً. والمؤرخة الأمريكية لزلي بلاتش التي قامت بتغطية حرب القوقاز الأولى أثرت أن تسمي كتابها بـ سيوف الجنة، وذكرت عن الشيشان بأنهم شعب يتصف بالشجاعة والنزعة إلى الاستقلال. أما الكاتب الروسي - المناهض للشيوعية - (سولجنستين)، والذي كتب عن الشعوب المنفية في سيبيريا فقد وصف ماشاهده هناك في معتقلات التعذيب بقوله: "لك أن تكسر ظهورهم، لكن أحداً لا يستطيع أن ينال من روحهم المعنوية فقد ظلت نفوسهم نمرأً مقيداً بالسلاسل؛ لأنهم كانوا من التششن - الشيشان بالروسية - الذين لا يرهبون الموت^(٣٥)."

-

()

يشكل البترول العمود الفقري للاقتصاد الشيشاني؛ حيث كانت الشيشان تتصدر المناطق الواقعة تحت الحكم الروسي في إنتاج النفط الخفيف الكثافة العالي الجودة. وقد تم اكتشاف النفط في هذه الجمهورية في عام ١٨٩٣م، و تتركز كثير من الحقول في منطقة العاصمة (جروزني).

()

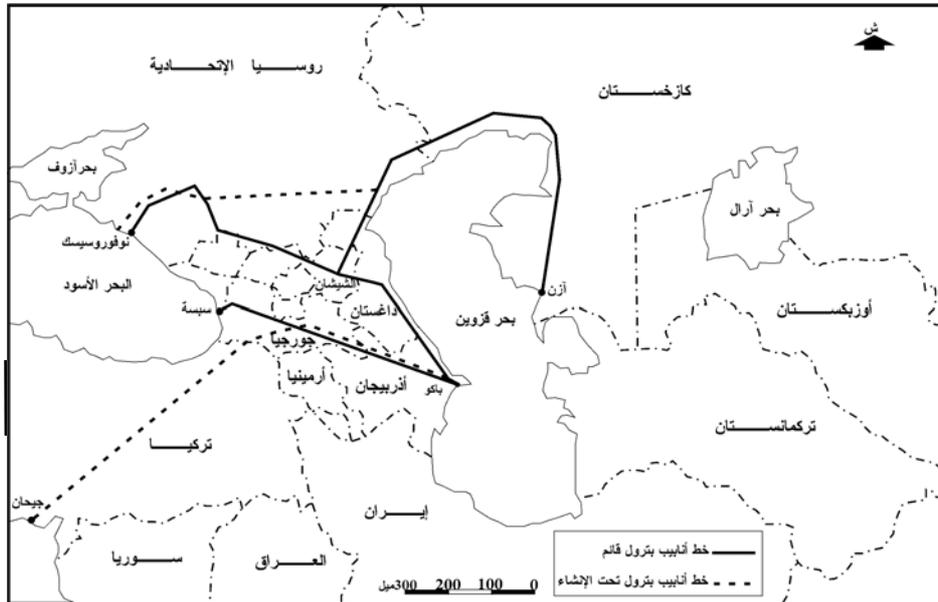
عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

وتتسم آبار النفط في هذه البلاد بأنها قريبة من سطح الأرض، حتى أن البترول يستخرج في بعض مناطق العاصمة على عمق ثلاثة أمتار. وتوجد منطقة تسمى نفطيانكا لكثرة آبار النفط التي حفرها السكان داخل بيوتهم في هذه المنطقة. وقد تم ذلك في فترة ما بين الحربين (من ١٩٩٦م إلى ١٩٩٩م) بجهودهم المتواضعة ووسائلهم المحدودة، حيث كانت هذه المهنة من أهم المصادر الاقتصادية لفئة من الشعب^(٣٦). وتشير بعض الإحصائيات القديمة إلى أن إنتاج الشيشان من البترول بلغ ٢٠ مليون طن سنوياً^(٣٧). وكان الإنتاج في معظمه يصدر إلى روسيا، حتى أن هذه الجمهورية صدرت إليها خلال ال ٧٥ عاماً (ما بين ١٩٢٠م و ١٩٩٥م) حوالي ٤٠٠ مليون طن^(٣٨). ولا تتوافر احصائيات حديثة عن الإنتاج في الأعوام المتأخرة، وذلك نظراً لظروف الحروب ودمارها وعدم الاستقرار السياسي وفقدان الأمن، ولكن من المؤكد أن الإنتاج انخفض بشكل كبير. وعموماً فإن توفر البترول يشكل عاملاً من عوامل الأهمية الجيوستراتيجية لهذه البلاد وسبباً من أسباب الإغراء لروسيا فيها، مما يجعلها تتمسك بها.

()

من جوانب الأهمية الاقتصادية للشيشان مرور أنابيب البترول والغاز عبر أراضيها، حيث كانت أنابيب النفط والغاز التي تصل منطقة باكو بأذربيجان بميناء نوفوروسيسك الروسي على البحر الأسود تمر بالشيشان بعد مرورها بداغستان؛ وذلك إبان قيام الاتحاد السوفيتي (انظر الخريطة رقم ٥).

(.)



Smith Sebastian, 1988 Allahs Mountains...P.IX :

وفي الوقت الحاضر ومع التوجه إلى استثمار احتياطي بحر قزوين وخاصة في أذربيجان - منطقة باكو - فقد تزايد الاهتمام بخطوط أنابيب البترول الذي سينتج من أذربيجان بكميات كبيرة، حيث وقعت أذربيجان اتفاقاً نفطياً مهماً مع مجموعة من الشركات الغربية عام ١٩٩٤م. ولكن الموضوع الذي حرصت عليه الدول ذات العلاقة هو: كيف يصل النفط المنتج بواسطة هذه الشركات إلى أسواق الاستهلاك؟ فكانت هناك خيارات منها الخيار الذي حرصت عليه روسيا الاتحادية وهو أن ينقل هذا البترول بواسطة أنابيب إلى ميناء نوفوروسيسك - كما كان في السابق - وهذا يعني استخدام الأراضي الشيشانية. ومن العوامل وراء تمسك روسيا بهذا الخيار هو حرصها على أن يبقى لها نفوذها على بترول المنطقة، وذلك من خلال مرور هذه الأنابيب في مناطق لها نفوذ عليها وهي داغستان والشيشان وما بعدها من أراض روسية. خاصة وأن روسيا لم تحصل إلا على ١٠% من أسهم هذا الاتفاق، بينما حصلت الشركات الأمريكية والبريطانية على معظم الأسهم. حيث حصلت شركة البترول البريطانية BP على ١٧,٠١%، وشركة AMOCO على النسبة نفسها ١٧,٠١%^(٣٩). وإلى جانب هذا الخيار وهو الاعتماد على الأنابيب عبر الشيشان فالأراضي الروسية، هناك خيارات أخرى؛ منها أن ينقل البترول الأذري الذي ستنتجه هذه الشركات عبر الأنابيب التي تعبر جورجيا ثم تركيا إلى البحر المتوسط، وخيار آخر وهو أن تعبر الأنابيب أرمينيا ثم

() Charles. V, *Oil and Gas in the Caucasus and Caspian* (Curzon Press, England, 2000) p.148.

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

تركيا، إضافة إلى خيار الأراضي الإيرانية ثم تركيا. وبعض هذه الخيارات لا تميل إليها أذربيجان والبعض لا توافق عليه الولايات المتحدة الأمريكية - الدولة التي تملك شركاتها حصة كبيرة في العقد - أما الخيار الذي لا تريده أذربيجان فهو استخدام الأراضي الأرمينية؛ وذلك نظراً للخلاف بينهما، حيث ترى أذربيجان أن أرمينيا ضمت مساحة كبيرة تصل إلى ٢٠% من الأراضي الأذرية إلى أراضيها. أما الأمريكان فلا يحبذون مرور الأنابيب عبر الأراضي الإيرانية للخلاف بين واشنطن وطهران حول بعض القضايا الإستراتيجية في المنطقة. كذلك لا تريد واشنطن مرور الأنابيب عبر الأراضي الروسية حتى لا يكون لروسيا نفوذ على هذا المشروع العملاق^(٤٠). وبناءً على ذلك فقد تم اختيار طريق باكو - تفليس - جيحان، حيث ينطلق من باكو عاصمة أذربيجان مروراً بتفليس بجورجيا ثم يعبر الأرض التركية إلى ميناء جيحان على البحر المتوسط. وقد تم افتتاح تنفيذ هذا المشروع بالفعل في احتفال أقيم بالقرب من العاصمة الأذرية في شهر سبتمبر ٢٠٠٢م، وحضره كل من رؤساء أذربيجان وجورجيا وتركيا. ولا شك أن اعتماد هذا الخيار يفقد الشيشان أهمية اقتصادية كانت روسيا تتطلع إليها^(٤١).

()

إلى جانب البترول فقد أشارت بعض المراجع إلى وجود بعض المعادن كالحديد، والنحاس، والفضة، وذكر بعض الباحثين أن فضة الشيشان استمرت تستخدم في صناعة العملة طوال العصر العباسي^(٤٢).

()

مع وفرة المياه وخصوبة التربة فإن الزراعة تعد من أهم الحرف

()

()

() -

//

(:) ()

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

التي يزاولها نسبة كبيرة من السكان، حيث يزرع القمح، والأرز، والشعير، والشاي، والفواكه^(٤٣). وحسب المراجع المتوفرة بين يدي الباحث لا توجد إحصائيات للإنتاج الزراعي، وهذا أمر متوقع مع حالة الحرب وعدم الاستقرار. ولكن تاريخياً فإن هذه المنطقة اشتهرت بغناها ووفرة خيراتها. حتى أن هذا كان أحد العوامل التي ساعدت الإمام شامل في صموده أمام الروس.

وكانت جمهورية الشيشان من المناطق التي يعتمد عليها الروس في إنتاج بعض محاصيل المناطق المعتدلة الدفئية، التي كانت تسوق في الأسواق الروسية؛ كالشاي وبعض الفواكه، والتي لا تنتج في روسيا فيما عدا منطقة القفقاس (القوقاز). وكانت هناك بعض المزارع الجماعية حسب النظام الشيوعي حيث يعمل الفرد فيها بشكل آلي مقابل حصوله على الضروري من حاجياته. وهذا الاعتماد عامل من عوامل تمسك روسيا بهذه الجمهورية.

()

تقوم في البلاد صناعة تكرير البترول و خاصة في العاصمة جروزني، حيث تم تكرير ٦,٥ مليون طن عام ١٩٩٣ هـ^(٤٤). كما تقوم بعض الصناعات البتروكيمياوية ومصانع إنتاج الماكينات والأجهزة الضرورية لصناعات البترول، وكذلك بعض الصناعات الغذائية وقطع الأخشاب^(٤٥). وكان يخدم القاعدة الاقتصادية مجموعة من المدارس الفنية ومعاهد التدريب ومؤسسات أخرى عديدة^(٤٦). ولكن هذه المصانع دمرتها الحروب الأخيرة حيث استهدفتها روسيا لضرب هذا المصدر من مصادر القوة الشيشانية.

وعموماً فإن هذه المناشط الإنتاجية الاقتصادية كانت موجودة وقائمة قبل فترة الحرب، حيث إن الحربين الأولى والحالية قضت على

()

()

()

()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

الكثير من جوانب الإنتاج الاقتصادي بل ودمرت البنية التحتية للبلاد حتى غدت الحياة صعبة في المدن الشيشانية؛ لفقد الأمن ووسائل الحياة الضرورية. وهذا بلاشك أوقف الإنتاج الصناعي وأثر كثيراً في الإنتاج الزراعي. وقد ذكرت بعض المراجع أن نسبة العاطلين عن العمل بلغت عام ١٩٩٨م حوالي ٨٠% من السكان^(٤٧).

إضافة إلى كل العوامل الأنفة الذكر، فهناك عوامل أخرى تسهم بشكل كبير في تحديد مدى أهمية الشيشان، وخاصة بالنسبة لروسيا. وهذه العوامل لا تقل أهمية عن العوامل السابقة في جعل روسيا تتمسك بالشيشان وتحرص على كسب المعركة فيها وبسط نفوذها عليها.

وهي عوامل مختلفة، منها ما يتعلق بالإرث التاريخي ومنها ما يتعلق بالتوجهات الجيوسياسية للسلطة في موسكو، ومنها ما له صلة بمركز الشيشان في شبكة المواصلات وغير ذلك .

()

من خلال تتبع تاريخ الصراع الشيشاني - الروسي - سيأتي تفصيل ذلك - تبين أن هذا الصراع امتد لأكثر من مائتي سنة، وأخذ أشكالاً متعددة من المواجهة والحرب الشرسة التي نالت من الجانبين، وذهب ضحيتها الآلاف منهما. فمذ عام ١٧٨٥م - عندما نجح الإمام منصور في قيادة الشيشان - إلى وقتنا الحاضر مروراً بجهاد الإمام شامل والحركة المريدية، والحرب مستمرة بين الطرفين. وقد لاقى الروس خلال هذه المدة عدة هزائم، مما جعلهم لا ينسون ذلك التاريخ. حتى غدت الشيشان والشعب الشيشاني، بل ومنطقة القوقاز بشكل عام رمزاً للتحدي في ذاكرة الروس، وقد امتلأت كتاباتهم وأديباتهم بذلك. يقول صاحب كتاب قتل الأمم "وكان احتلال القفقاس دائماً بالنسبة للقومية الروسية، ذا أهمية بارزة، وذات دلالة في الخيال أكثر من أي شيء آخر وأكثر بكثير من ضم مناطق آسيا الوسطى والشرق الأقصى. وإن رفع

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

رموز القوة الروسية الإمبراطورية على قمم الجبال العظيمة كان موضع تقدير كبير كدليل على القوة التي يمجدها الروس إلى أن يقول: "وتظهر للعيان فكرة قفقاس روسية في آثار الشعراء والقصصيين الذين قدموا إلى المنطقة مثل بوشكين وليرمنتوف بل وحتى تولستوي"^(٤٨). وهكذا يشكل هذا الإرث التاريخي للصراع والشعور المرير عند الروس تجاه الشيشان عاملاً من عوامل الأهمية لهذه الجمهورية بالنسبة للسياسة الروسية. مما جعل القادة الروس على اختلافهم منذ عهد القيصرية إلى وقتنا الحاضر يجمعون على مواجهة الشيشان وعدم الاعتراف باستقلالهم.

بل أصبحت هذه المواجهة وتحقيق شيء من الانتصار فيها دعاية إنتخابية لمرشحي الرئاسة؛ ولذا حرص الرئيس بوتين، وهو يخوض معركته الإنتخابية الأولى على زيارة جروزني تحت الحراسة المشددة.

()

كان سقوط الاتحاد السوفيتي وتفككه حدثاً عالمياً كبيراً، أصاب الكثير من السياسة الروس بالمرارة. فبعد أن كانت روسيا قوة عالمية عظيمة أصبحت عدة كيانات تستجدي الغرب بعض القروض لمواجهة أزمتها الاقتصادية. وحتى يستوعب هؤلاء السياسة الواقع الجديد، فإنهم يحتاجون لبعض الوقت. ولذا نجدهم يحرصون كل الحرص على أن يثبتوا للشعب الروسي وللعالم بأن روسيا لا زالت قوة عظيمة تستطيع أن تحافظ على نفوذها في مناطق الاتحاد السوفيتي السابق. ويأتي غزوها للشيشان وحرصها على بسط نفوذها عليها في إطار هذا التحرك؛ لإثبات القوة والمكانة العالمية، خاصة مع مرارة الإرث التاريخي للصراع مع هذه الجمهورية - كما سيأتي في الجزء التاريخي- ثم إن هذا التحرك الروسي ضد الشيشان، هو الآخر إجراء وقائي؛ لمنع مزيد من التفكك لروسيا الاتحادية، حيث يدرك الروس أن استقلال الشيشان مدعاة لمطالبة

() ()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

جمهورية قوقازية أخرى بالاستقلال^(٤٩).
()

بالإضافة إلى ما سبق فيعبر الشيشان خطوط السكك الحديدية التي تربط روسيا بأذربيجان وبعض جمهوريات القوقاز الأخرى. ومن ثم فإن استقلال الشيشان يعني التحكم في هذه المواصلات مما قد يشل حركة المواصلات الروسية.

ومما زاد اهتمام روسيا بالشيشان - وخاصة عندما سقط الاتحاد السوفيتي - هو تملكها للعديد من المحطات الكهروذرية التي تمد روسيا وبلاد القوقاز بالطاقة الكهربائية، بالإضافة إلى سيطرتها على مخلفات الجيش الروسي الذي كان يربط على أراضيها، ومنها عدد من الصواريخ المهمة التي حصل عليها الشيشانيون بعد فشل انقلاب أغسطس ١٩٩١م^(٥٠).

- :

بدأ الروس صراعهم مع الشيشان عندما تحركوا للاستيلاء على بلاد القوقاز في عهد الدولة العثمانية - التي مدت سلطانها إلى مناطق القوقاز ومنها الشيشان وفتحت القسطنطينية - ففي سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) أعلن إيفان الثالث قيصر روسيا الحرب ضد سلطان إمارة قازان المسلمه، هذه الإمارة الواقعة على نهر الفولجا والتي ظلت ولزمن طويل حائلاً منيعاً ضد التوسع الروسي نحو الجنوب ولكن مع سقوط هذه الإمارة عام

() / :

() :

(

()

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

١٥٥٢م أصبح الطريق أمامهم سهلاً للاستيلاء على بعض الأراضي التركية والوصول إلى بحر قزوين ثم إلى منطقة القوقاز فيما بعد، حيث لم يمض سوى وقت قصير حتى بدأ الروس الزحف إلى القوقاز عبر ضفاف نهر تيرك^(٥١).

وفي عهد الإمبراطورة كاترين الثانية شنت موسكو هجوماً على مناطق القوقاز فاشتبكت مع العثمانيين في حروب خلال الفترة من ١٧٦٨-١٧٧٤م نجم عنها ترسيخ النفوذ الروسي في القوقاز بما فيه الشيشان. وفي عهد القيصر نيقولا الأول (١٨٢٠-١٨٣٠م تتابعت الحملات وتم اخضاع مناطق في جنوب القوقاز مثل داغستان وأجزاء من أرمينيا^(٥٢). وعلى الرغم من كثرة الجيوش الروسية وقوة عدتها، فإن شعوب القوقاز المسلمة لم تستسلم للروس بل وقفت في وجوههم وحاولت جاهدة مقاومتهم. وقد ساعدهم في ذلك بروز بعض العلماء الذين حركوا فيهم روح الجهاد وقادوهم في معارك المواجهة مع الروس، ويأتي في مقدمة هؤلاء كل من الأمامين الإمام منصور ثم الإمام شامل وهما من مشايخ الطريقة الصوفية النقشبندية.

-

ظهر الإمام منصور على مسرح الأحداث في الشيشان في بلدة الذي عام ١٧٨٥م، وكان ظهوره بداية عهد جديد في مواجهة الروس، حيث دعا إلى الجهاد وتجمع لديه جيش كبير ألحق بالروس هزائم عديدة، ومنها هزيمته لتلك الحملة الروسية بقيادة القائد الروسي بيري حيث قتل الإمام القائد الروسي بنفسه وقتل معه عدد كبير من أفراد الجيش. وكان هذا النصر عاملاً مشجعاً لانضمام أعداد أخرى من جهات القوقاز إلى الإمام منصور^(٥٣). وظل الإمام منصور في جهاده ضد الروس حتى

()

()

()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

حاصرته القوات الروسية في قلعة أنابا على ساحل البحر الأسود، حيث أصيب في هذه الأثناء وتم أسره من قبل الروس، حيث سجن في قلعة شليسبورغ إلى أن قتل عام ١٧٩٤م^(٥٤).

وبسقوط أنابا وأسر الإمام منصور توقف الجهاد في شمال القوقاز فترة من الوقت. ثم عاد مرة أخرى على أيدي ثلة من العلماء منهم محمد الغمري المعروف باسم غازي مولا، وهو من قرية غمري في داغستان وينتمي للطريقة النقشبندية، وقد أسهم مع غيره في تأسيس الحركة المريدية، والتي حملت لواء الجهاد ضد الاحتلال الروسي. وكانت بدايات جهاد غازي مولا عام ١٨٢٩م، حيث دعا الداغستانيين إلى الجهاد وهاجم الروس في عدة مواقع وحقق العديد من الانتصارات. وفي عام ١٨٣٣م ظهر الإمام غازي في بلاد الشيشان وحقق عدة انتصارات كذلك، مما جعل السلطات الروسية تجهز حملة عسكرية كبيرة للقضاء عليه وعلى حركته؛ حيث حاصروه في مركزه قرية غمري ودمروها وتمكنوا من قتل الإمام وأتباعه، ما عدا نفر قليل كان منهم الإمام شامل الذي قاد الجهاد فيما بعد^(٥٥).

وبعد سنوات قلائل من تدمير قرية غمري وفي عام ١٨٣٥م، بايع أتباع الحركة الإمام شامل إماماً لهم. وقد اتخذ من بلدة أخولكو بداغستان عاصمة ومركزاً له. ومن العوامل وراء اختيارها الحماية الطبيعية التي تتمتع بها. بعد ذلك شرع شامل في تنظيم الحركة المريدية الجهادية عسكرياً متبعاً في ذلك الهرمية في التنظيم. وقد استحق هذا الإمام أن يوصف بأسد القوقاز وصقر الجبال الذي تصدى لروسيا القيصرية، وحقق انتصارات كبرى عليها^(٥٦).

وعندما أحس الروس بتحركات شامل أرسلوا حملة عسكرية؛ لإخضاع مناطق شامل في داغستان. وعزموا على احتلال أخولكو مركز شامل، وقد نجحوا في ذلك حيث حاصروا هذه البلدة وقصفوها وقتلوا

() -

() () :

() -

العديد من سكانها ثم احتلوها عام ١٨٣٩م. وقد كان الروس حريصين على القضاء على شامل شخصياً، إلا أنه نجا من ذلك مع نفر قليل من أتباعه^(٥٧).

وبعد عام تقريباً، أي في عام ١٨٤٠م ظهر الإمام شامل مرة أخرى، ولكن هذه المرة ظهر في بلاد الشيشان حيث قاد الجهاد ضد الروس في شكل حرب عصابات في البداية، وقامت قواته بهجمات سريعة ومذهلة ضد الحاميات الروسية ليس في الشيشان فقط، بل وفي أجزاء من الداغستان، حيث انضم إليه الآلاف من أتباع الحركة المريدية السابقين. أما الروس فقد أذهلهم خروج شامل بين الشيشان ونجاحه في زعامتهم، ومن ثم قرروا إرسال قواتهم إلى الشيشان وداغستان، حيث دخلوا في حروب مع شامل وقواته وكانت الحرب سجالاً بين الطرفين. وفي عام ١٨٤٢م قرر الروس احتلال عاصمة شامل دارغو وتوجيه ضربة عسكرية ومعنوية له، وأسندوا قيادة هذه الحملة للجنرال غراب. وقد سارت هذه الحملة إلى دارغو ولكنها منيت بالفشل ذريع مما قوى جانب شامل. وقد تتابعت انتكاسات الروس أمام قوات شامل. وكان من أصعب الهزائم تلك الهزيمة التي لحقت بحملة فورتنتسوف على دارغو عام ١٨٤٥م، حيث حشد الروس لهذه الحملة جيشاً يزيد على عشرين ألف جندي؛ لمهاجمة دارغو. وعندما علم شامل بذلك قرر عدم مواجهة الروس في معركة مكشوفة لتفوقهم الكبير في العتاد، حيث يمتلكون مدافع عديدة، ولذا قام بتوزيع قواته في الغابات المحيطة بدارغو، ودخل الروس في مواجهات مع القوة الصغيرة التي أبقاها شامل داخل عاصمته. وقد تغلب الروس على هذه القوة واستولوا على دارغو واحرقوها، ومن ثم أصاب القائد الروسي شعور بالفرح والسرور حيث ظن أن المعركة انتهت. ولكن عندما قفل راجعاً إلى مقر قيادته في فنيزاينايا - التي تبعد ٤٥كم عن دارغو - بدأت المعركة الحقيقية، حيث تحولت الطريق إلى جبهة قتال واسعة، وظهرت قوات شامل الرئيسية في الغابات لتهاجم القوات الروسية من كل جانب، مما أوقع الخلل في جيش الروس ومكن لقوات شامل من أن تنزل بهم هزيمة ساحقة، حيث لم يصل سالمأ إلى مقر

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

القيادة الروسية سوى خمسة آلاف من أصل عشرين ألف^(٥٨).
استمر شامل على هذه الحالة حتى انتهت حرب القرم بين الروس
والأتراك بانتصار الروس وذلك عام ١٨٥٦م، حيث وقعت معاهدة باريس
والتي بموجبها عاد الروس لشبه جزيرة القرم. وعندها وجه الروس
جهودهم ضد شامل مركزين اهتمامهم على إخضاع الشيشان التي تعتبر
مصدر قوة الإمام شامل؛ لتزويدها له بالمقاتلين والغذاء .
بدأت تحركات الروس ضد شامل بتعزيز قواتهم في القوقاز وترتيبها،
ثم قاموا بعمليات قصف مدفعي للقرى ثم اقتحامها بل قصفوا الغابات ودمروها
لشق الطرق عبرها للوصول إلى مراكز شامل، فهم اتبعوا سياسة الأرض
المحرقة. استمر الوضع كذلك لأكثر من عامين وبدأ شامل يفقد بعض
مراكزه الواحدة تلو الأخر مما جعله يقصد بلدة غونيب المنيعة والمحصنة
طبيعياً الغنية بمواردها الزراعية. وفي شهر آب ١٨٥٩م هاجم الروس هذه
البلدة من كل جانب بجيش كبير يصل تعداده إلى أربعين ألف مقاتل،
وحاصروها حصاراً محكماً، وبعد أيام عرضوا على شامل الاستسلام دون
قيد أو شرط مقابل الإبقاء على حياته ومن معه. ومع شدة الموقف فقد وافق
شامل على ذلك. ومن ثم أخذ أسيراً إلى عاصمة القيصر، حيث بقي هناك عدة
سنوات، حتى سمح له بالمغادرة إلى مكة عام ١٨٧٠هـ، وتوفي - رحمه الله
- عام ١٨٧١هـ^(٥٩). وبهذا تحكّم الروس في الشيشان، بل وفي كل القوقاز
بشكل عام.

ومع قيام الثورة البلشفية (الشيوعية) في روسيا ١٩١٧م، فإن
المسلمين في الشيشان وغيرها من بلاد القوقاز وقعوا تحت تأثير دعاية
قادة الثورة الشيوعية، الذين حرصوا في بداية الثورة على كسب تعاطف
الأقليات في روسيا. ولذلك نجدهم في البداية حرصوا على كسب تعاطف
المسلمين وصدرت عنهم بعض التصريحات التي تتعلق بالدفاع عن حقوق
المسلمين. فبعد إعلان حقوق الشعوب الروسية وفي ٢٤ تشرين الثاني

()

() ()

١٩١٧م صدر نداء خاص لجميع العمال المسلمين في روسيا موقعاً من لينين وستالين، جاء فيه: "يامسلمي روسيا من تتر الفولغا والقرم، وقرغيز وسيبيريا وتركستان، وترك وتتر ماوراء القفقاس، وتشيتشن وجبلي القفقاس الذين هدم قياصرة روسيا المستبدون مساجدهم وبيوت عباداتهم والذين أهنت معتقداتهم وعاداتهم، اعلّموا أن معتقداتكم ومعاهدكم القومية والثقافية ستكون بعد الآن حرة محترمة إلى أن يقول النداء: واعلموا بأن الثورة كلها وبكامل منظماتها. تحمي حقوقكم كما تحمي حقوق كل شعوب روسيا"^(١٠).

هكذا كانت تصريحات الثورة في البداية ليكسبوا موقف المسلمين إلى جانبهم، حتى إذا استتب لهم الأمر سلكوا سياسة أخرى؛ حيث أصدر لينين أمره بالزحف على بلاد المسلمين بما فيها بلاد القوقاز وأعلن الشيوعيون سياستهم العلنية عام ١٩٢٠م والتي تنتكر للدين وتحاربه^(١١). وكان من أشد وأفظع جرائم الشيوعية في الشيشان الحكم الذي أقرته حكومة روسيا الشيوعية في ٣١ يناير ١٩٤٤م بنفي كامل الشعب الشيشاني والأنجوش إلى خارج بلادهم، وبالذات إلى كازاخستان وسيبيريا. وبقي هذا القرار سراً لكي لا يعلم الشيشان بذلك، وأسندت مهمة الترحيل إلى الجيش، وفي ٢٣ فبراير ١٩٤٤م بدأت عملية الترحيل الوحشية، حيث دعي الناس إلى حضور الاحتفال بمناسبة العيد السادس والعشرين للثورة، وعندما تجمع الناس في ساحات الاحتفال، قرأ عليهم القادة العسكريون القرار المفاجيء الذي وقع على السكان كالصاعقة، وقد عمل الروس قبل ذلك اليوم على جلب العديد من فرق الجيش بمعداتهم، وأحاطوا بالناس وساقوهم إلى العربات التي نقلتهم إلى قطارات نقل السلع والحيوانات وتحركت بهم إلى مناطق النفي. وقد كانت أساليب الروس وحشية مع السكان حيث هددوا بالقتل كل من يعترض، وقد قتلوا بالفعل بعض السكان. ووصل الحال ببعض الأسر أنها قسمت في أكثر من عربة وفي أكثر من

() /) :

(

() :

(

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

منفى، حتى أن بعض الأمهات فقدن أولادهن ولم يعرفن مصيرهم^(٦٢). وكان السبب الرئيسي لهذا النفي رغبة ستالين في الاستيلاء على منطقتي قارص وأردخان وخوفه من قيام شعوب القوقاز المسلمة بالاتحاد فيما بينها مرة أخرى لمناصرة مسلمي تركيا، إلى جانب حركات المقاومة المستمرة من قبل الشعب الشيشاني^(٦٣). أما المبرر الذي أعلنته الحكومة الروسية آنذاك فهو اتهام هذه الشعوب بمساعدة النازيين الألمان عند غزوهم للقوقاز. وهذا المبرر غير صحيح بدليل أن الروس أنفسهم وبعد ثلاث عشرة سنة من النفي أي في عام ١٩٥٧م، أعلنوا براءة الشيشان من هذه التهمة وسمحوا لهذا الشعب بالعودة إلى بلاده، وهكذا عاد الشيشان إلى بلادهم.

وفي ظل الحكم الشيوعي فإن الشيشان مرت بعدة مراحل في التشكل السياسي. ففي عام ١٩١٩م أنشئت جمهورية الجبليين ذات الاستقلال الداخلي، التي ضمت الشيشان وغيرها من القوميات المجاورة كالأنجوش والشركسي. ولكن هذه الجمهورية لم تنجح لعدة أسباب، منها عدم وجود لغة مشتركة^(٦٤).

وفي عام ١٩٢٢م أعلنت السلطات الروسية إنشاء جمهورية الشيشان ذات الحكم الذاتي، وفي عام ١٩٢٤م ضمت الشيشان وجمهورية الأنجوش في جمهورية واحدة أعطيت الحكم الذاتي في عام ١٩٣٦م^(٦٥). وبعد قرار النفي في عام ١٩٤٤م ألغيت هذه الجمهورية الشيشان - الأنجوش. ثم عادت مرة أخرى بعد قرار السماح بعودة السكان من منفاهم، وذلك في عام ١٩٥٧م^(٦٦). منذ ذلك العام ١٩٥٧م وإلى عام ١٩٨٠م، لم

() Dunlop, J, Russia Chechnia, *Roots of a separatist conflict* (Cambridge, the University of Cambridge, (

p.64) 1998.

()

() () ()

() :

() ()

()

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

تحصل أحداث كبيرة، وإنما ظهرت حملات دعائية تدعو للضم الاختياري الكامل مع موسكو، ولكنها قوبلت بمعارضة قوية من السكان .

وفي مرحلة التجديد (البيروسترويكا) في عهد جورباتشوف، ظهرت في البلاد جبهة قومية تهدف إلى تحرير الشيشان تحت راية شيشانية قومية، ولكن لم يكتب لها النجاح^(٦٧).

حدث التغيير الكبير وتمت الأحداث المؤثرة في هذه الجمهورية مع انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية عام ١٩٩٠م، حيث قامت بعض الجمهوريات التابعة للاتحاد بإعلان استقلالها. وكان من ضمن هذه الجمهوريات جمهورية الشيشان - أنجوشيا، حيث تم عقد مؤتمر عام للشعب الشيشاني في الفترة من ٢٣-٢٥ نوفمبر ١٩٩٠م، وفي نهايته - أي في ٢٥ نوفمبر - أصدر المؤتمر إعلان استقلال الجمهورية عن الاتحاد السوفيتي. وفي ٢٧ أكتوبر ١٩٩١م جرت انتخابات برلمانية لانتخاب رئيس للجمهورية، وتم اختيار جوهر دوداييف (جوهر بن داود) رئيساً للشيشان بأغلبية ضخمة زادت على ٨٥% من الأصوات^(٦٨).

وفي أول شهر نوفمبر ١٩٩١م أعلن الرئيس المنتخب استقلال الشيشان وصادق على قرار الاستقلال البرلمان الشيشاني الجديد في اليوم التالي في ١١/٣/١٩٩١م^(٦٩). ولكن موسكو لم تقبل هذا الاستقلال، ولم تعترف به على الرغم من إجماع الشعب على ذلك وحضور مراقبين من بعض الدول للانتخابات التي تم فيها اختيار دوداييف رئيساً للشيشان. وفي ٨ نوفمبر ١٩٩١م أعلنت الحكومة الروسية حالة الطوارئ وقامت بإنزال قوات في أراضي الشيشان، وقد نجح الشيشان في أسرهم وبعد مفاوضات

()

-

()

-

()

()

تم ترحيلهم إلى موسكو، وعلى أثر ذلك ألغى الروس حالة الطوارئ في الشيشان^(٧٠).

في الفترة من ١٩٩١م إلى ١٩٩٤م ساد الهدوء في الشيشان؛ وذلك لانشغال روسيا بشئونها الداخلية وحدوث صراع على السلطة في الكرملين، كما حصل في الانقلاب الفاشل ضد جورباتشوف أغسطس ١٩٩١م. وقد استغلت حكومة الشيشان هذه الفترة في البناء الداخلي وفي الاتصال بالعالم الخارجي؛ للحصول على الاعتراف باستقلالها، فقد أرسلت عدة وفود للدول العربية والإسلامية وغيرها، ولكنها لم تنجح النجاح المطلوب حيث لم يعترف بها سوى عدد قليل جدا من الدول. أما روسيا فقد بقيت على موقفها المعارض لاستقلال الشيشان واستمرت في الحملات الإعلامية ضد القيادة والشعب الشيشاني. وقد حرصت على خلق ودعم معارضة داخلية تسببت في إثارة بعض القلاقل والتأثير في وحدة الجبهة الداخلية. واستمر الضغط السياسي الروسي واللعب بورقة المعارضة في الشيشان حتى جاء عام ١٩٩٣م عندما رفض دودايف التوقيع والمشاركة في الاستفتاء الخاص بدستور روسيا الاتحادية. عندها قوي الاتجاه المطالب باستخدام الخيار العسكري ضد الشيشان ورئيسها دودايف، وبدأ التخطيط للهجوم العسكري^(٧١). ومما ضاعف من التخوف الروسي وأثار روح العداء عندهم الإجراءات الاستقلالية الأخرى التي قام بها دودايف في العام نفسه (١٩٩٣م)، وذلك عندما طرح مشروع دستور جديد للبلاد ينص على أن الشيشان دولة حرة وديمقراطية، ويؤكد على هويتها الإسلامية. ثم أتبع ذلك بإعلان إلغاء حالة الطوارئ المفروضة على البلاد بقرار من روسيا على اعتبار أنها تابعة لها. ثم قام بطرد الخبراء الروس العسكريين وفتح مخازن السلاح الروسية في البلاد أمام الشعب ليتسلح بها في مواجهة الخطر القادم، وأعلن استقلال الشيشان نهائياً عن الروس أواخر عام ١٩٩٤م. وعندها رد الروس بالاجتياح العسكري للبلاد بجيش قوامه ثمانون ألف جندي وألف دبابة. وقد واجهها

()

()

الشعب بالمقاومة مما جعل القيادة الروسية تقوم بقصف العاصمة قروزني قصفاً وحشياً دمر المساجد والمنشآت المختلفة. ومع ذلك فقد قاوم الجيش وبدأ الشيشان حرب عصابات ضد الروس نجم عنها العديد من القتلى والخسائر للروس حيث بلغ عدد القتلى الآلاف. وعندما بدأ الروس الهجوم كانوا يظنون أن الحرب ستستغرق اياماً أو أسابيع، ولكنها استمرت قرابة العامين إلى ١٩٩٦/٨/٣١م عندما وقع الطرفان اتفاقية وقف إطلاق النار. وقد جاء ذلك إثر العملية التي قادها باسايف على المستشفى الروسي في جروزني، حيث احتجز مجموعة من الروس رهائن لديه، إضافة إلى العملية الأخرى التي قام بها الشيشانيون عندما تسلم مجموعة منهم إلى مقر القيادة الموالية للروس حيث حاصروا مجموعة من الجنود الروس تقدر بالآلاف في داخل جروزني؛ مما اضطر الروس بالقبول بالمفاوضات ومن ثم الانسحاب، وبهذا حقق الشيشان انتصاراً على روسيا^(٧٢).

ومن نتائج هذه الحرب والانسحاب الروسي أن الطرفين وقعا عدة اتفاقيات تقود إلى استقلال الشيشان والاعتراف الروسي الضمني بالتخلي عنها كجزء من أجزاء الفيدرالية الروسية. فالاتفاقية التي وقعت في سبتمبر ١٩٩٦م في بلدة خاسافورت، بين كل من أصلان مسخادوف ممثل الشيشان، والكسندر ليبيد - سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي - سمحت حسب ما ذكرته جريدة سوفيتسكايا روسيا المعارضة، عملياً بانفصال الشيشان عن روسيا. حيث إن روسيا والشيشان وضعتا فيها على مستوى واحد بصفتها دولتين جارتين مستقلتين تمام الاستقلال. ومنذ عقد هذه الاتفاقية فإن عملية تشكل الدولة الشيشانية بدأت تتسارع حيث شكلت حكومة ائتلافية مؤقتة برئاسة مسخادوف. وقد اكتملت العملية بانتخاب مسخادوف فيما بعد رئيساً للدولة والاحتفاء به رسمياً بحضور ممثل السلطة الروسية - سكرتير مجلس الأمن القومي (إيفان ريبيكين)^(٧٣).

وفي الاتجاه نفسه جاءت معاهدة السلام بين الطرفين في ١٢ مايو ١٩٩٧م. حيث اعترفت روسيا بالشيشان ككيان مستقل. وهذا ما أكد عليه

()

()

()

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

استاذ القانون الدولي بجامعة UIUC، فرانسيس بويل Francis Boyle، حيث أشار إلى أن هذه المعاهدة ببندوها وصياغتها تعطي الشيشان الاستقلال وتتضمن اعتراف روسيا بالشيشان دولة مستقلة. وأن بإمكان حكومة الشيشان استخدامها لإقناع دول العالم ومنظماته للاعتراف بها^(٧٤).

هذه هي الحثيات التي يوردها من يرى أن الاتفاقيات الموقعة تضمنت الاستقلال ضمناً وإن لم تنص عليه صراحة، حيث تم الاتفاق على تأجيل موضوع الاستقلال النهائي إلى ما بعد عام ٢٠٠٠م.

ومع خروج الجيش الروسي من الشيشان اتجه الشيشانيون إلى بناء دولتهم المدمرة؛ حيث دمر الروس مصافي البترول الثلاث ومجمع البتروكيماويات ومصنع الدقيق، ومصنع السكر. إضافة إلى تدمير العديد من المباني والمدارس والمسكن وغيرها. فكان على الشيشانيين أن يخوضوا معركة أشد ضراوة في سبيل إعادة الحياة من جديد^(٧٥).

وبالرغم من اتفاقيات السلام بين الطرفين إلا أن روسيا التي خرجت منهزمة، بقيت تتربص بالشيشان والشيشانيين الدوائر وضربت حصاراً شديداً على هذا الشعب. إضافة إلى حملتها الإعلامية لتشويه صورة الإسلام ومسلمي روسيا على وجه الخصوص، وبالذات أبناء القوقاز. حيث صورتهم وسائل الإعلام الروسية بأنهم قطاع طرق وتجار مخدرات وعملاء مافيا... إلخ. ومن أمثلة الحصار الروسي والحملات العدائية ضد الشيشان: المنع من تصدير المنتجات، وعدم السماح بفتح مطار غروزني، وكذلك سعيهم لاغتيال قادة الشيشان كما عملوا مع دوداييف. كما أنها مارست ضغوطاً للحيلولة دون إقامة علاقات سياسية أو اقتصادية بين الشيشان ودول العالم، وخاصة الإسلامية منها. كذلك فإن روسيا لم تنفذ الاتفاقيات التي وقعتها مع الشيشان، وخاصة فيما يتعلق بالتعويضات عن الخسائر الناتجة عن الحرب^(٧٦).

وقد تزامن هذا الحصار مع ردود فعل ناقمة على روسيا وسياستها

() Boyle, F, Independent Chechnya: Treaty of Peace with Russia of May 1997 (WWW.Amina.com article).

()

()

في أوساط بعض الشعب الداغستاني المجاور للشيشان، والذين يتطلعون إلى الاستقلال عن روسيا، حيث إن كلا الشعبين الشيشاني والداغستاني قد عاشا ظروفًا متشابهة في المعاناة من الحملات الروسية في السابق. وقد جاء الاستقلال الجزئي الذي أحرزه الشيشانيون بعد خروج الروس نهاية عام ١٩٩٦م مشجعاً لبعض الداغستانيين للتحرك ضد روسيا. وقد وصلت الحال بدعاة الاستقلال هؤلاء إلى مهاجمة أكبر قاعدة عسكرية روسية في داغستان في رمضان ١٤١٨هـ. وقد سببت هذه العملية أزمة داخل داغستان بين دعاة الاستقلال والحكومة الداغستانية التابعة لحكومة موسكو. حيث تحركت الحكومة ضدهم واعتقلت أعداداً منهم وفرّ أعداد أخرى. ومع هذا فقد استمرت روح المقاومة والاستعدادات للمواجهة مع الروس. وخلال هذه الفترة علمت الشرطة الداغستانية عن وجود مخزن سلاح في قرية كوماتا وحاصرت القرية فاستنجد المحاصرون بغيرهم من أصحاب التعبئة العسكرية ضد الروس، والذين جاؤوا لنصرتهم، مما جعل الشرطة الداغستانية تستنجد بالروس الذين جاؤوا بأعداد كبيرة إلى القرية وحاصروها وبدؤوا الضرب عليها بالمدافع والطائرات عندها استنجد هؤلاء المحاصرون بإخوانهم الشيشان حيث عبر مجموعة منهم الحدود وفاجأوا الروس واستولوا على ثلاث قرى ومطار عسكري^(٧٧).

وقد تباينت مواقف القوى الشيشانية تجاه الاستجابة لنصرة الداغستانيين المحاصرين، فكان موقف رئيس الدولة أصلاً مسخادوف، وبعض السياسيين هو عدم العبور إلى داغستان، حيث يرون أن مثل هذا العمل لا يخدم قضيتهم السياسية بل سيعطي روسيا مبرراً للعدوان. بينما يرى أصحاب المنطق العسكري بأن النصر واجب وأن الروس لا يفيد معهم إلا القوة والمواجهة حيث لا يفهمون إلا هذه اللغة ولهذا اتخذوا قرار العبور لنصرة الداغستانيين.

وقد حصل ما توقعه البعض حيث إن الروس عدوا هذا التحرك من بعض الشيشانيين فرصة؛ لينفذوا مخططاتهم تجاه الشيشان وليثأروا لخروجهم مهزومين في بداية عام ١٩٩٧م. ولذا حشد الروس قواتهم ضد تلك القرى الداغستانية ودمروها. ثم تحركت القوات الروسية للشيشان في

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

غزو سافر استهدف المدن والقرى والمنشآت الاقتصادية. هذا الغزو الذي يعرف بحرب الشيشان الثانية والتي لا زالت فصولها مستمرة حتى كتابة هذا البحث. وقد ارتكبت القوات الروسية في هذه الحرب أنواعاً من القتل والتدمير التي لا يقرها شرع ولا قانون . ومن ذلك على سبيل المثال، قصف الطائرات الروسية لسوق وسط العاصمة يعج بالمدنيين مما أدى إلى مصرع ما لا يقل عن ٣٠٠ مدني، وفي قرية كتيابورت قام الروس بمجزرة بشعة، حيث قتلوا أربعمئة شيشاني في أقل من يوم. وجاء في تقرير ميداني نشرته جريدة جورجية تدعى (سبعة أيام)، أن قرية قالمي الشيشانية القريبة من جورجيا قد دمرت بكاملها ودمر نصف قرية أخرى قريبة منها^(٧٨). وقد أقامت روسيا بالقوة سلطة تابعة لها في الشيشان، بينما وقف كثير من الشيشانيين ضد هذا الغزو وما يتبعه من سلطة. ولذا بدأت فصول جديدة من المواجهة بين القوات الروسية المتمركزة في العاصمة جروزني والمدن الأخرى، وبين المجاهدين الشيشان بقيادة الرئيس مسخادوف والقائد شامل باسايف، الذين يتركزون في الجبال. ولا زالت الأوضاع إلى الآن - نهاية ٢٠٠٣م - بهذا الشكل غير المستقر.

-

إن تحديد الصورة المستقبلية للشيشان ولموضوع الصراع الشيشاني - الروسي، ليس بالأمر البسيط؛ خاصة مع طول فترة الصراع لأكثر من قرنين من الزمان، حتى أصبح لدى كلا الجانبين - كما مر معنا - إرثاً تاريخياً مريباً تجاه الطرف الآخر. يضاف إلى هذا المتغيرات العالمية الكبرى ذات التأثير العالمي والإقليمي، وعلى رأسها أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. هذه العوامل وغيرها ينبغي الإلمام بها ووضعها في الاعتبار في معرض الحديث عن مستقبل الشيشان. ولكن مع هذا الاستقراء كله، فإن الصورة المستقبلية تبقى توقعاً غير مؤكد؛ لأن المتغيرات والأحداث

()

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

مستمرة وغير مستقرة على حال. وعموماً فإن الإرث التاريخي يدل على أن الشيشان لن يقبلوا بالسيطرة الروسية وأنهم سيستمرون في مقاومتهم، حيث صمد هذا الشعب أمام كل الأساليب التي استخدمها الروس من القتل والتشريد، بل والنفي التام من موطنه. كل هذا لم يجعله يستسلم للحكم الروسي إلا لفترات محدودة مؤقتة يستعيد الشيشان بعدها المقاومة - كما تبين لنا ذلك في الجزء المتعلق بتاريخ الصراع-.

ومن جانب آخر فإن هذا الإرث التاريخي يجعل روسيا تصر على المواجهة، إذ أصبحت مواجهة الشيشان ورقة رابحة في معترك التنافس السياسي في موسكو، وهذا يعني طول النفس الروسي في مستقبل الصراع مع الشيشان، إلا إذا أصيب الروس بخسائر فادحة في هذا الصراع بشكل يؤثر في الرأي العام الروسي ويجعله يضغط في اتجاه الانسحاب من الشيشان. وبناءً على ما سبق فلا يتوقع انتهاء الصراع في المستقبل القريب، ولكن من المتوقع تغير إستراتيجية وآلية إدارة الصراع وتوجيهه، خاصة مع المتغيرات العالمية بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م. فقد جاءت هذه الأحداث لتخدم الإستراتيجية والتحرك الروسي الذي حرص على أن يظهر أمام الرأي العام العالمي بأن حربه التي يخوضها في الشيشان وخاصة الأخيرة التي اندلعت عام ١٩٩٩م، إنما هي ضد الإرهابيين والعمليات الإرهابية. وقبل أحداث سبتمبر لم تكن الدوائر الغربية تصغي كثيراً لمثل هذا التفسير والمنطق الروسي. ولكن بعد الأحداث تغيرت نظرة ومواقف هذه الدوائر وخاصة الأمريكية منها. نعم لم تقدم الهيئات والحكومات الغربية قبل سبتمبر ٢٠٠١م معونات عسكرية للشيشانيين ولم تعترف باستقلال الشيشان، ولم تتخذ إجراءات رادعة ضد روسيا، بل ولم توقف عنها المساعدات، ولكنها على الأقل كانت تتفهم الموقف الشيشاني ودفاع الشيشانيين ضد الروس. كما أنها كانت تشعر بالحرع أمام شعوبها وأمام منظمات حقوق الإنسان تجاه ما يحصل للشعب الشيشاني. بل إن بعض الدوائر أعربت عن قلقها من التدخل الروسي في الشيشان. فمثلاً نجد أن مجلس النواب الأمريكي في شهر نوفمبر ١٩٩٩م عبّر عن قلقه البالغ من التدخل الروسي في الشيشان، ودعا الطرفين إلى استئناف الحوار. وفي قرار

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

اتخذته بالإجماع دعا روسيا إلى التوقف عن استخدام القوة ضد المدنيين الشيشان، كما دعا إدارة الرئيس الأمريكي كلينتون؛ لممارسة ضغط لحمل الطرفين على العودة إلى طاولة المفاوضات^(٧٩).

أما بعد أحداث سبتمبر فنجد أن الموقف الغربي، اختلف بدرجة كبيرة تجاه الشيشان، وبدأ يقترب من الموقف الروسي. حيث سارعت موسكو؛ لانتهاز الفرصة وتقديم شتى أنواع الدعم لأمريكا في حملتها ضد الإرهاب بالمفهوم الأمريكي. فخلال مقابلتين تلفزيونيتين في الفترة التي تلت أحداث سبتمبر، أعلن الرئيس الروسي بوتين تحالف روسيا مع أمريكا ضد الإرهاب. ففي ٢٢ سبتمبر صرح بوتين بأنه ليس أمام روسيا من خيار سوى المشاركة في التحالف ضد الإرهاب؛ لأنه لا يمكن إنزال الهزيمة بالإرهاب إلا بواسطة حلف تتحد فيه قوى العالم المتحضر، وقد اتخذت مواقف عملية في ذلك فيما بعد. وفي المقابل حصلت روسيا على الدعم السياسي من الغرب في حربها في الشيشان. حيث صرح الرئيس الأمريكي بوش أن هناك حضوراً قوياً لإرهابيين تابعين لشبكة ابن لادن في إقليم الشيشان. كذلك اقترحت مستشارة الأمن القومي للرئيس الأمريكي فكرة الحل السياسي القاضي بالاعتراف بحقوق الأقليات في الشيشان ضمن روسيا الاتحادية. بمعنى إلغاء فكرة الاستقلال، حيث يقتصر الاقتراح على مجرد حقوق ثقافية لأقلية محلية. وقد لاقى هذا الاقتراح ارتياحاً لدى المسؤولين الروس^(٨٠).

وقد رد الشيشان على البيت الأبيض، على لسان المتحدث باسم الرئيس الشيشاني السابق مسخادوف، بأنه لا علاقة للشيشانيين بابن لادن، ونفى أن يكون لتنظيم القاعدة وجود في الشيشان.

وفي تصريح أمريكي آخر حول الشيشان في ٢٩/٩/٢٠٠١م، طالب الناطق باسم البيت الأبيض قادة الشيشان بقطع علاقاتهم فوراً وبدون أي شروط مع منظمات إرهابية مثل ابن لادن وشبكة القاعدة. وقد أجاب الشيشان على ذلك من خلال الناطق باسم الرئيس الشيشاني الذي ذكر بأنهم لا يرون في الأمر أي

() // Islamonline.net

() // Islamtoday.net

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

مشكلة وأنهم عازمون على ذلك، ولا علاقة لهم بالإرهاب^(٨١). أما الدول الأوروبية فقد وقفت هي الأخرى إلى الجانب الروسي، حيث صدرت بعض التصريحات الأوروبية المؤيدة لروسيا في الشيشان. فمثلاً أصدر الاتحاد الأوروبي بالمشاركة مع الرئيس الروسي بياناً في قمة بروكسل في أكتوبر ٢٠٠١م، حول التعاون بين موسكو والاتحاد وواعد البيان بالقيام بعمل مشترك يتم فيه تطوير التنسيق لمقاومة الإرهاب. بل إن الجمعية البرلمانية الأوروبية في ستراسبورغ اتخذت موقفاً يبارك تصرفات روسيا في الشيشان، مما دفع الرئيس الشيشاني مسخادوف إلى الاحتجاج وإعلان انسحابه. كذلك فقد صرح المستشار الألماني شرودر - لدى استقباله الرئيس الروسي في بون - بأن روسيا يمكن أن تفعل ما تشاء في الشيشان في إطار حربها ضد الإرهاب^(٨٢). وفي زيارة رئيس الوزراء الفرنسي جوسبان لموسكو في أكتوبر ٢٠٠١م، أشار إلى أنه لا بد من مكافحة الإرهاب أينما وجد، بما في ذلك إذا ظهر في الشيشان^(٨٣). وهكذا ألفت أحداث سبتمبر بظلالها على هذه القضية، والتقت المصاح الغربية - الروسية ضد استقلال الشيشان، مما زاد من التبعة ضد الشيشان وأطلق يد روسيا لتعمل ما تشاء ضدهم. ولكن نجد الآن (نهاية عام ٢٠٠٣م) وبعد مرور أكثر من عامين على أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، وعلى إعلان التعاون الروسي - الغربي ضد الشيشان، نجد أن المقاومة الشيشانية لا زالت مستمرة، ورفض قطاع كبير من الشيشانيين للوجود الروسي لم يتغير. بل إن المقاتلين الشيشان صعّدوا من عملياتهم في بعض الفترات، ومن ذلك الهجوم الذي شنّه المقاتلون على مبنى الإدارة الموالية للروس في ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٢م وغيره. وهذا الواقع بخلاف ما توقعه بعض الساسة الروس الذين ذكروا عقب ظهور التحالف الروسي - الغربي، بأن وقف الدعم الخارجي سيقضي على المقاومة

() // Islamonline.net

() // Islamtoday.net

() // Ajeeb -

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

الشيشانية خلال اسابيع. فمثلا نجد أن وزير الخارجية الروسي سيرجي ايفانوف صرح في يوم الأربعاء ٢٦/٩/٢٠٠١م، حسب مذكرته وكالة انترفاكس الروسية - بقوله: لنفترض ولو نظرياً أننا تمكنا من قطع الموارد عن الشيشان من أموال ورجال قادمين من الخارج فستنتهي عندها العملية العسكرية في غضون ١٥ إلى ٤٠ يوماً^(٨٤).

وبناء على ماتقدم فإن مستقبل الشيشان غامض ويصعب التنبؤ به، ويمكن تصور التوقعات أو السيناريوهات التالية لمستقبل هذه القضية:

١- أن تنجح روسيا في تمكين الشيشان الموالين لها والمعارضين لمسخادوف، وفي مقدمتهم مجموعة أحمد قاديروف - الذي قتل على يد المقاومة الشيشانية - بعد أن نجح في الانتخابات التي أجرتها روسيا في الشيشان في أكتوبر ٢٠٠٣م، والتي عارضها مسخادوف وقطاع من الشعب الشيشاني. وتنجح كذلك في استمالة آخرين لجبهة قاديروف عن طريق إمدادهم بالمال والسلاح، خاصة مع دعم الغرب لروسيا في ذلك. وفي الوقت نفسه تزيد من حدة الهجوم على المقاتلين عسكرياً وإعلامياً، وتسعى لإقناع الرأي العام بارتباط مسخادوف وفريقه بالإرهاب.

٢- الاعتراف بالمعارضين للوجود الروسي والدخول معهم في مفاوضات؛ لإنهاء حالة الحرب وقبول سحب القوات في مقابل بعض الشروط التي تحفظ ماء الوجه لروسيا كإبعاد بعض القادة العسكريين عن الساحة السياسية، ونحو ذلك. وينتهي الطرفان إلى توقيع اتفاق يتضمن برنامجاً زمنياً لاستقلال الشيشان .

٣- أن يفرض أحد الطرفين الحل الذي يريده بالقوة والحسم العسكري، ومن ثم يفرض الواقع السياسي المستقبلي بدون الحاجة إلى التفاوض مع الطرف الآخر .

ومن خلال النظر في القضية في ضوء المتغيرات والأحداث العالمية، فإن الباحث يتوقع أن روسيا ستستمر لفترة من الزمن في التنسيق والدعم لمجموعة قاديروف التابعة لهم، والإقصاء لدعاة الاستقلال التام عن

روسيا. وقد جاء الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م ليدعم هذا التوجه والسياسة الروسية في احتلال الشيشان، وليعطي دعاء الغزو العسكري في الإدارة الروسية دفعة قوية للاستمرار في سياستهم. بل إن ذلك جعل الروس في مأمن من النقد والهجوم العالمي على سياستهم في الشيشان. ولكن طبيعة الشعب الشيشاني وتأصل العداء لديهم ضد روسيا ونجاح المقاومة العسكرية في الاستمرار يمكن أن يؤدي إلى تغيير الموقف الروسي ويجعل الساسة الروس يراجعون سياستهم في هذه الجمهورية. وقد بدأت بوادر ذلك، ففي شهر ديسمبر ٢٠٠٣م طالبت وزارة الخارجية الروسية المجتمع الدولي بالتدخل لحل القضية الشيشانية وتسوية الأوضاع في الشيشان، بينما كانت روسيا في السابق تعارض تدويل القضية باعتبار أنها قضية داخلية، ولكن مع شراسة المقاومة وإلحاقها الخسائر البشرية والعسكرية بقوات الاحتلال الروسي؛ فإنها قبلت بتدخل القوى الدولية^(٨٥). وقد يعني هذا القبول من جهة الروس بداية العودة إلى الحل السلمي والمفاوضة مع القوى الشيشانية المعارضة للوجود الروسي. وهذا لعله هو المخرج الأنسب من الأزمة والذي ينبغي أن يسعى إليه المجتمع الدولي والمنظمات الدولية؛ وذلك بإقناع روسيا بأن تترك للشيشانيين تحديد مصيرهم بأنفسهم.

من خلال دراسة جوانب الشخصية الجغرافية والملاح الجيوستراتيجية للشيشان، إلى جانب الجذور التاريخية للصراع الشيشاني - الروسي، اتضح لنا جوانب عدة في هذه الشخصية الجيوستراتيجية. ومن أهمها: موقعها الجغرافي في منطقة الربط بين آسيا وأوروبا، إلى جانب أنها تمثل نقطة التقاء وتماس بين روسيا والبلاد الإسلامية، بل إنها تمثل بوابة الاستقلال لهذه المناطق الإسلامية المجاورة في منطقة القوقاز. وإلى جانب الموقع فإنها تجمع بين الطبيعة الجبلية في الجنوب والسهلية في الشمال مما ساعد سكانها على سهولة مزاوله العديد من الأنشطة الاقتصادية كالزراعة من جانب وعلى الصمود أمام الغزو

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

الخارجي من جانب آخر. حيث يلجأ السكان عند الغزو إلى الجبال ومنها يشنون الحرب على الغزاة. ومما ساعدهم في الدفاع والمواجهة انتشار الغابات الكثيفة التي تشكل ملجأ للمقاتلين وعائقاً طبيعياً لتقدم الغزاة في الوقت نفسه.

ومن الملامح الجيوستراتيجية لهذه الجمهورية التجانس بين سكانها عقدياً ولغوياً، فهم مسلمون يعتزون بإسلامهم ويتحدث غالبيتهم لغة واحدة. وقد أسهم الإسلام في صياغة التوجه السياسي لهؤلاء السكان. كما أن الطبيعة الجبلية وطول الصراع جعل من الشيشانيين مقاتلين أشداء يتسمون بالشجاعة والبأس.

وإلى جانب هذا كله فإن الشيشان غنية بالبتروول وبمواردها الزراعية حيث تتوافر المياه وتسقط الأمطار بغزارة وتتمتع بمناخ ملائم . هذه العوامل كلها أسهمت في بناء الشخصية الجيوستراتيجية للشيشان وجعلت روسيا تتمسك بها. ومما زاد من أهمية الشيشان بالنسبة لروسيا الإرث التاريخي المرير؛ نتيجة للصراع الطويل بينهما، مما جعل من الشيشان رمزاً للتحدي في ذاكرة الروس، حتى غدت المواجهة مع الشيشان دعاية انتخابية في التنافس السياسي في موسكو. إضافة إلى تحكّم الشيشان في بعض خطوط أنابيب البتروول الممتدة بين أجزاء روسيا الاتحادية، وكذلك العديد من طرق المواصلات التي تربط هذه الأجزاء .

ولقد أظهرت هذه الدراسة امتداد تاريخ الصراع الشيشاني - الروسي لأكثر من قرنين، وذلك منذ عهد القياصرة في النصف الثاني من القرن ١٨ الميلادي إلى وقتنا الحاضر. وقد أبدى الشيشانيون صموداً أمام الحملات الروسية واستمروا في المقاومة تحت قيادة عدد من الأئمة البارزين وعلماء الدين كالإمام شامل. كما أظهرت الدراسة أن المتغيرات العالمية كسقوط الاتحاد السوفيتي وأحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، أثرت في هذه القضية وأسهمت في تغير إستراتيجية وآلية إدارتها وتحديد وجهتها المستقبلية.

وعموماً فإن الدراسة أظهرت دور العوامل الجغرافية - التي تشكل الشخصية الجيوستراتيجية للشيشان - في نشوء الصراع الشيشاني -

المقومات الجيوستراتيجية لجمهورية الشيشان ...

الروسي واستمراره، وكذلك في إدارته والتعامل معه من قبل الجانبين الشيشاني والروسي. كما أنها تشير إلى توقع استمرار الصراع وإلى أن من أنجح الخيارات المستقبلية لهذا الصراع على ما يبدو هو الدخول في مفاوضات بين روسيا والقوى الشيشانية المعارضة للوجود الروسي؛ لإنهاء حالة الحرب ووضع برنامج زمني لتحديد مستقبل هذه الجمهورية بناءً على رغبة شعبها.

**The Geo-strategic elements of the Republic of
Chechnya and the Chechnyan-Russia conflict:
A study in Political Geography**

Abdulaziz R. Almutairdi
Dep of Geography
College of Arts

(Received 29/1/1425H; accepted for publication 20/3/1425H)

Abstract. The study examines the Geo-strategic elements of the republic of Chechnya, such as location and physical, human and economic elements which play a role in the conflict between chechnya and Russia. Also, it explains the roots of the conflict and its future.

It becomes clear that, the important geo-strategic elements of this republic are; first, its location been between Asia and Europe, making the republic as a point of contact and clash aarea between Russia and Muslim world. Second, its physical aspects, especially, its mountainous area in the southern part which becomes as a shelter for the Chechnyan people who fight against their enemy. Similarly, the wide spread

عبد العزيز بن راشد بن زيد المطيردي

forests covering the country also provided shelter for the people to stand up and fight against any foreign attack. Third, the homogeneity of the population, as the vast majority of them are Muslims and speaking mainly one language. Fourth, it's a reasonable oil reserves and production.

In addition, there are some other reasons that make this republic more important for Russia, such as; the historical hostility has existed stood for more than two hundred years between the two sides, and the strategic location of this republic on some important petroleum lines and high-ways connecting between some parts of Russia.